الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور - الجلفة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

المذاهب العقدية في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

بوعلام لبتر

إشراف:

الدكتور: كمال قمان

لجنة المناقشة:

1- الدكتور: عمر كيحل رئيسا

2- الدكتور: كمال قمان مشرفا ومقررا

3- الدكتور: الأغويني برق ممتحنا

الموسم الجامعي: 2024/2023

شكر وتقدير

الحمد لله المتفضل بآلائه، والجواد بنعمائه، والكريم بعطائه، حمداً ينبغي لجلال ربنا وعظيم سلطانه، وشكراً على توفيقه وامتنانه، وثناءً عليه إقراراً بالحمد وبيانه.

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل، ويسَّر أسباب التوفيق فيه، سائلين إياه أن يكتب لنا هذا العمل في ميزان حسناتنا، وفي ميزان كل من ربانا وعلمنا، وكل من له فضل علينا.

ولا أجدني في هذا الموقف إلا وعلى عاتقي دين الإقرار بالفضل، وإجزال الشكر لأساتذتي الأفاضل، كلٌ باسمه ومنصبه، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور: كمال قمان الذي كان الأب الروحي لمساري الجامعي، فجمع بين الأخوة والأبوة والأستاذية جزاه الله عني خير جزاء، وأستاذنا الفاضل رئيس قسمنا الأستاذ الدكتور: ميلود بلحاج، الذي كان له فضل تسيير وتأطير مسارنا في هذه المرحلة، كما لا أنسى الأخ والأستاذ صاحب الثغر الباسم الأستاذ الدكتور: محمد عيساوي، الذي كان أخاً مقرباً قبل أن يكون أستاذاً معلماً، وأستاذنا الحبيب الدكتور: عبد القادر ربوح، رمز الجد الحريص على الطلبة، الجواد بالنصح، وأستاذي الفاضل المعطاء الدكتور: عمر كيحل، الذي تجاوزت علاقة الود والمحبة بيننا أسوار الجامعة، والشكر كل الشكر لشيخنا الأستاذ الدكتور: مصطفى داودي، الذي له فضل عليَّ منذ بداية مساري الجامعي وإلى نهايته، وقد تشرفت أن كان على يديه تأطير ثاني كتاب لي، فجزاه الله عنا كل خير، أما من أساتذتنا من خارج الجامعة فالشكر لعالمنا وشيخ شيوخنا الأستاذ الدكتور: خالد كبير علال.

إهـــداء

إلى جدتي...

التي نعلها تاجي، وسروري وابتهاجي، ريحانة القلب، ونور الدرب، المعطاءة بلا عد، والمحبة بلا حد، سعادتي وأُنسي، وغدي وأمسي، الحبيبة قبل كل حبيب، والأقرب من كل قريب، إلى جدتي ....، حياتي أطال الله عمرها وألبسها ثوب الصحة والعافية ما بقي الزمن.

إلى والدي...

نهر الحب الذي لا ينضب، والسند الذي لا ينصب، المعين على نوائب الدهر، كرم الله السابق لكل فخر، من يسره توفيقي ونجاحي، ويجود بالحرص لبلوغ فلاحي، باب الجنة المفتوح، وعطف الإله الممنوح، أسأل الله أن يرزقني رضاه، والتوفيق لما يسعده ويتمناه.

إلى زوجتي... ز.العكة

قلب زوجها وروحه، ونور بصره ووضوحه، رفيقة الحياة وملاذها، وزهو النفس وجمالها، هبة الله التي تُشكر، ومنة الرحمن التي لا تُنكر، الحبيبة المؤنسة، والزوجة المخلصة، حفظها الله وأدامها نعمة وإحسانَ، وعضدا في الحياة وخير من أعانَ.

إلى كل عائلتي...

من كبيرهم إلى صغيرهم، وأخص بالذكر منهم إبن عمي إسحاق الصغير، قطعة قلبي، أسأل الله له الحفظ وأن يكون عالماً عاملاً خادماً لأمته عندما يكبر.

إلى أساتذتي الأفاضل...

من نهلنا من علمهم، وتربينا بأدبهم وفضلهم، عناوين الحرص الدائم، وحملة العلم القائم، الذين لولاهم – بعد الله تبارك وتعالى – ما وصلنا إلى هذه المرحلة، جزاهم الله عنا كل خير، سائلين الله أن يتحقق مرادهم فينا، لنحمل لواء العلم وخدمة الأمة.

إلى أصدقائي...

وأخص بالذكر خالي الودود الداعم لي في كل مشروع، البروفيسور: عيسى الهادي، وأخي الأكبر وصديقي الدكتور: السعيد صديقي، وإلى الأخوين الأصغرين الصديقين الحبيبين محمد بوزيدي وبورقبة بلال، سائلا المولى عزوجل حفظ الجميع وتوفيقهم.

أجر هذا العمل نويته لجدي رحمة الله عليه

أسأل الله أن أكون حسنته الجارية

وأن يكتب له هذا العمل في صحيفة حسناته

وأن يُرقي به درجاته في جناته جنات النعيم

رحم الله جدي وأسكنه فسيح جناته

قائمة المختصرات

الاختصار	شرحه
ص	صفحة
ج	الجزء
ط	الطبعة
ت	توفي
هـ	هجري
م	ميلادي
تح	تحقيق
مج	المجلد
عد	العدد
تق	تقديم
د ر ط	دون رقم طبعة
د س ط	دون سنة طبع
د ت ن	دون تاريخ نشر
د د ن	دون دار نشر

المقدمة

المقدمة

شكلت رسالة الإسلام نقطة الانعطاف التي انتقلت بالإنسانية من غياهب الظلمات إلى نور الهداية الربانية الحقة، وقد شاء الله تبارك وتعالى أن تكون هذه الرسالة الخاتمة رسالة إلى البشرية جمعاء، لا يكون في الأرض موضع قدم إلا وصلت إليه، تصديقاً لقوله ﷺ: «**إن اللَّه زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**»[1] فكان هذا الحديث إعجازاً غيبياً مخبراً بالدين الحق الذي سيجوب أرجاء المعمورة، ثابت الوصول، مختلف فيه الناس بين مؤمن ومصدق، وجاحد وكافر.

إن مقتضى عالمية الرسالة المحمدية لم تجعل من بلاد المغرب استثناءً مما ستجوبه، فكانت هذه البلاد أرض سبق في اعتناق الإسلام والاستجابة لدعاته من الصحابة رضوان الله عليهم ثم التابعين ومن أتى بعدهم، لتكون بلاد المغرب على إثر ذلك أرض إسلام وهداية، من لدن عصر الرعين الأول من صحابة رسول الله وإلى يوم الناس هذا.

غير أن هذا لم يمنع من تحقق ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث المشهور: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[2]، فلم يستقر حال الإسلام، بل بدأت بوادر نشوء الطوائف والمذاهب العقائدية منذ حياته عليه الصلاة والسلام، وذلك الذي كان فيما قام به ذو الخويصرة التميمي الذي اتهم النبي ﷺ بالجور واللاعدل، فأخبر النبي بخروج طائفة من نسله ومن

(1) مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، تح: محمد ذهني أفندي وزملاؤه، دار الطباعة العامرة، د ر طن 1334هـ، ج8، ص171

(2) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط1، 1996م، ج4، ص381

أتباعه صفاتهم في حديثه عليه الصلاة والسلام: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب اللَّه رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[1]

كانت هذه البوادر مقدمة لما سيكون بعدها، فقد ظهر التشيع في زمن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، ثم ظهور الإباضية فالاعتزال، ثم مذهب الأشاعرة وهلم جراً من المذاهب التي تشعبت واختلفت في عقائدها ومشاربها، منضوية في مجملها تحت مسمى الإسلام، الذي يفترض أن يبقى على صفائه في صورة الدين الكامل الذي لا يتجزأ، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:92]

وكان من الطبيعي وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أن يتأثر مغربه بمشرقه، ومشرقه بمغربه، على اعتبار أن العالم الإسلامي آنذاك كان وحدة متكاملة متصلة فيما بينها، وقد شمل هذا التأثير والتأثر جميع مجالات الحياة لدى أفراد الأمة الإسلامية، دينيا، وتجارياً، وثقافياً، وسياسياً، وقد تبلور هذا التأثر المتبادل في بروز الطوائف والمذاهب العقائدية في المشرق الإسلامي ومغربه.

وعلى ضوء ما ذكرنا يمكن القول أن الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي لم يسلم من التقسيمات المذهبية العقائدية له، فكما ظهر التشيع في المشرق ظهر في المغرب، وكما ظهرت الإباضية في المشرق برز أتباعها في بلاد المغرب، والحال ذاته مع أهل الحديث والمعتزلة والأشاعرة، فكانت المذاهب العقدية إذن من المشتركات – مع المشرق الإسلامي – التي جابت دولة الإسلام ببلاد المغرب منذ القرون الأولى لها، الأمر الذي يدفعنا إلى البحث في واقع المذاهب العقدية بالمغرب الإسلامي.

أهمية الموضوع:

موضوع المذاهب العقدية من المواضيع الشائكة التي لا تزال تحتل حيِّز الدراسات والأبحاث الأكبر، على اختلاف زاوية الدراسة وجوانبها، والإطار الزماني والمكاني لها،

(1) مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، المصدر السابق، ج3، ص110

واختيارنا لموضوع "المذاهب العقدية لبلاد المغرب الإسلامي" له من الأهمية الشيء الكثير، ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

- التعرُّف على تاريخ المذاهب العقدية في بلاد المغرب الإسلامي معرفة تاريخية، ودراستها دراسة موضوعية تقرِّب الصورة أكثر لحالة التمذهب بهذه البلاد.
- التعرُّف على حالة التمذهب والاختلافات العقدية التي نشأت وظهرت ببلاد المغرب الإسلامي، ومعرفة طبيعة العلاقات بين هاته المذاهب.
- معرفة آثار وتبعات هذه الاختلافات المذهبية على أهل المغرب الإسلامي.
- أن يكون هذا البحث في هذا الموضوع سداً للعجز الذي يطاله نتيجة لنقص الأبحاث التي تجردت لدراسته والبحث فيه، وفي حدود ما اطلعنا عليه لم نجد دراسة أو بحثاً أو كتاباً تخصص في دراسة المذاهب العقائدية ببلاد المغرب الإسلامي، فكان لزاماً علينا ونحن أصحاب التخصص أن نضع له دراسة تكون مقدمة لما بعدها.
- لا شك أن الباحث عن الحق المتقلب بين المذاهب سيما من بلاد المغرب، سيجد نفسه مضطراً للبحث والتساؤل عن أي المذاهب كان سباقاً للاتباع عند مغاربة العالم الإسلامي، وهذا البحث – وإن كنا نجزم بنقصانه – سيكون آلية لوضع الباحث على هاته الشاكلة أمام صورة أقرب إلى الحقيقة، بناءً على المعطيات التاريخية.
- معرفة المذهب أو المذاهب التي على الحق أو القريبة منه من المذاهب الباطلة، والتعريف بها حتى يكون لدى القارئ أو الباحث تصوُّر كامل عن ماهيتها وعن تاريخها ببلاد المغرب الإسلامي.

دوافع اختيار الموضوع:

1- **الرغبة الشخصية:** تأتي الرغبة الشخصية في مقدمة اختياري للموضوع، ذلك لاشتغالي في البحث في العقائد والمذاهب منذ مدة طويلة، فوددت أن يتوج البحث بمشروع له علاقة مباشرة بالموضوع فكان ذلك متمثلاً في هذا العمل.
2- **إثراء البحث:** قلة البحث في موضوع المذاهب العقدية في بلاد المغرب الإسلامي، دافع ثانٍ وقوي لاختياري للموضوع، ذلك أنه لم يخصص فيما أعلم وفي حدود

اطلاعي بحث شامل وجامع يتناول موضوع المذاهب في بلاد المغرب الإسلامي، إلا ما كان منها متفرقاً، على شاكلة دراسة مذهب محدد وفي فترة محددة، بيد أن العمل على مذكرتي كان جامعاً للعديد من المذاهب في فترة زمنية طويلة.

3- **التسهيل على الطلبة والباحثين:** كذلك يوجد دافع ثالث ألا وهو تسهيل البحث على زملائي من الطلبة ولم لا من الأساتذة الأفاضل الذين لديهم اهتمام بموضوع المذاهب ببلاد المغرب الإسلامي، وهذا الدافع بالذات هو الذي جعل اعتمادي على المصادر بدرجة أولى وتحقيق الروايات التاريخية، حتى أُقدم مادة علمية رصينة في مستوى البحث العلمي الجاد.

الإشكالية:

البحث في واقع المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي، يدفعنا إلى طرح إشكالية عامة تفضي إلى حقيقة هذا الواقع.

كيف كان ظهور ونشأة المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي؟

الأسئلة الفرعية:

- ما هو الأصل العقائدي للمغاربة ببلاد المغرب الإسلامي؟
- أي المذاهب العقدية كان سابقاً في وفوده إلى بلاد المغرب؟
- ماهي تبعات وآثار تعدد المذاهب العقدية على أهل المغرب الإسلامي؟

منهج البحث

اعتمدنا خلال البحث على المنهج الوصفي

الدراسات السابقة:

- **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة للدكتور "إبراهيم التهامي":** هذا الكتاب رغم أنه تناول موضوع المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي، إلا أنها لم تكن دراسة موضوعية مجردة، بل جعل من أهل الحديث طرف نقيض مع باقي

المذاهب الأخرى، وبالتالي يمكن القول أنه كتاب دافع عن أهل السنة بالمغرب أكثر من تطرقه لموضوع المذاهب.

- **المذاهب العقدية في الأندلس في القرن الخامس الهجري:** رسالة دكتوراه للباحث: أبو عبيدة عبد الرحيم العطا، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، 1432هـ/2011م، تناول الباحث في أطروحته المذاهب العقدية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، وأشار في بحثه إلى مذهبين عقائديين في بلاد المغرب، وهما: مذهب الشيعة، ومذهب الخوارج، فيما تطرق إلى جُل المذاهب فيما يتعلق بالأندلس، فالدراسة إذن متعلقة بالأندلس فقط، بغض النظر عن المحطات القليلة التي أورد فيها ذكر المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي.
- **المذاهب السنية في المغرب الإسلامي ما بين القرنين 2-5هـ** للطالبة ماجدة بن حميدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قالمة، مذكرة ماستر، الموسم الدراسي: 2013/2012م: هذه المذكرة تتناول المذاهب الفقهية الأربعة ببلاد المغرب الإسلامي، وكان يفترض أن يكون العنوان أكثر دقة، نحو "المذاهب الفقهية في بلاد المغرب الإسلامي" حتى لا يقع الالتباس والخلط، لأن مصطلح "المذهب" يطلق على المذهب العقائدي والمذهب الفقهي، لذلك وجب التفريق بينهما.
- **تاريخ أهل السنة والجماعة في بلاد المغرب الإسلامي ق2-7هـ:** للطلبة: بتة عائشة وجبار إيمان، وحمو إكرام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون – تيارت–، مذكرة ماستر، الموسم الدراسي: 2020/2019م، هذه الدراسة تناولت تاريخ المذاهب الفقهية السنية بدرجة أولى، مع التركيز بشكل واضح على المذهب المالكي، مع الإشارة بإيجاز إلى مذاهب عقدية كالشيعة والمعتزلة، والغريب في هذه الدراسة أنها اعتبرت المذهب الظاهري والزيدي مذهبان سنيان، وهذا خطأ واضح لا يقع فيه طالب علم في هذا المستوى.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من:

- **المقدمة**
- **تمهيد:** حيث تضمن التمهيد تلخيصاً لتاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، والغرض من ذلك الرجوع إليه عند نهاية البحث واستخلاص النتائج، كما تضمن التمهيد التعريف بأهم المفاهيم التي تعتبر مفاتيح فهم للموضوع.
- **الفصل الأول: التاريخ العام للمذاهب العقدية**

تم تقسيم هذا الفصل إلى خمسة مباحث، وكل مبحث مقسم إلى ثلاثة مطالب، حيث خصصنا المبحث الأول لدراسة مذهب أهل الحديث مفهوماً وتاريخا وأصولا، والمبحث الثاني لمذهب المعتزلة، والمبحث الثالث خصص لمذهب الأشاعرة، والمبحث الرابع خاص بمذهب الإباضية، بينما المبحث الخامس والأخير من الفصل الأول خصص لمذهب الشيعة، وكل المباحث الأربعة الأخيرة تضمنت ما تضمنه المبحث الأول، المفهوم، والتاريخ، وأصول المذهب، حيث جعلت كل من المفهوم، والتاريخ، وأصول المذهب، عنواناً لكل مطلب من المطالب المُضمنة تحت المباحث الخمسة.

- **الفصل الثاني: المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي**

يتضمن الفصل الثاني مثله مثل الفصل الأول خمسة مباحث، خُصص كل مبحث لمذهب من المذاهب في بلاد المغرب الإسلامي، فكان المبحث الأول بعنوان: أهل الحديث في بلاد المغرب الإسلامي، والثاني: الاعتزال في بلاد المغرب الإسلامي، والثالث: الأشاعرة في بلاد المغرب الإسلامي، والرابع والخامس بعنوان: الإباضية والشيعة في بلاد المغرب الإسلامي على التوالي.

فيما تضمن كل مبحث من المباحث الخمسة ثلاثة مطالب، يتناول المطلب الأول موضوع تاريخ المذهب – الذي هو موضوع المبحث – ببلاد المغرب الإسلامي، فيما كان المطلب الثاني مخصصاً لأشهر أعلام المذهب، والمطلب الثالث والأخير

من المبحث يتناول الدول التي قامت بالمغرب الإسلامي والتي اعتمدت مذهباً معيناً مذهبا رسمياً، ويُستثنى من ذلك مذهب المعتزلة الذي ظهر بالمغرب لكنه لم يُعتمد كمذهب رسمي لدولة من الدول التي ظهرت بالمغرب الإسلامي، لذلك اكتفينا في المطلب الثالث من المبحث الثاني بذكر الدول التي ظهر فيها الاعتزال بشكل بارز.

- **الخاتمة:**

يُختم بحثنا بخاتمة تضمنت جملة من النتائج المهمة والتي كانت هدف البحثن بالإضافة إلى ذلك فإن الخاتمة تضمنت جملة من التوصيات المهمة التي تم استنتاجها وإدراك ضوروتها وأهميتها خلال البحث.

أهم المصادر والمراجع:

أولا: أهم المصادر

- كتاب "**الملل والنحل**"، لـــ "محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني": اعتمدنا على هذا المصدر باعتباره المصدر الأول الذي لا يستغني عنه باحث في موضوع المذاهب العقائدية، فكان الاعتماد عليه أكثر شيء في الفصل الأول ونحن ندرس المذاهب العقدية بصفة عامة.
- كتاب "**الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**"، لـــ "عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي": ثاني أهم المصادر التي تتناول موضوع المذاهب العقدية والمتخصصة فيه، وكان كذلك الاعتماد عليه خلال الفصل الأول بصورة أكبر سيما في التعريف ببعض المذاهب.
- كتاب "**سير أعلام النبلاء**"، لـــ "شمس الدين الذهبي": هذا الكتاب يعتبر العمدة في بابه، باب السِيَر وتراجم الأعلام، وقد تم اعتماده كمصدر رئيسي على طول البحث عند التعرض لبعض تراجم الأعلام، مدعوماً في بعض الأحيان بكتب الطبقات الأخرى التي تخصصت في نفس الموضوع.

- كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**"، لـــ "ابن عذاري المراكشي": من أهم المصادر التي تطرقت لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي، وتم اعتماده في الفصل الثاني من البحث وذلك في صدد كلامه عن بعض أعلام المذاهب العقائدية ببلاد المغرب الإسلامي.

- كتاب "**فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**"، لـــ "عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي": من أهم المصادر التي أرَّخت لتاريخ مذهب المعتزلة وتعرضت لتراجم أعلامه، لذلك كان الاعتماد على هذا المصدر عند تطرقنا لباب المعتزلة في الفصلين الأول والثاني على حد سواء.

والحقيقة أن المصادر التي تم اعتمادها خلال البحث كثيرة، ويصعب الترجيح بينها من حيث الأهمية، فكل مصدر من هاته المصادر مهم في بابه، لذلك ليست المصادر التي ذكرنا لتفاضل بينها، وإنما هو إجراء منهجي فقط، وإلا فكل المصادر المستعملة خلال البحث مهمة

ثانيا: أهم المراجع

- كتاب "**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**"، للشيخ: مبارك الميلي: من المراجع المهمة التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي عموماً، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، وكان كتاب الشيخ من أهم المراجع التي اعتمدناها خلال الفصل الثاني من البحث.
- كتاب "**معالم تاريخ المغرب والأندلس**"، للدكتور: حسين مؤنس: من بين المراجع الموثوقة التي ارتأينا ضرورة الاعتماد عليها خلال البحث، وقد اعتمدت عليه في الفصل الثاني عند تناول بعض أحداث الدول التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي، لاسيما ما تعلق بموضوع بحثنا وما أشار إليه صاحب الكتاب مما هو متعلق بموضوعنا.

- كتاب "**الأشعرية في المغرب**"، لـــ "إبراهيم التهامي": من المراجع التي تطرقت لموضوع المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامين وقد اعتمدته في المبحث الثاني من الفصل الثاني، وأنا بصدد دراسة المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي
- كتاب "**تراجم المؤلفين التونسيين**"، لـــ "محمد محفوظ": اعتمدت هذا المرجع عند تعذر الحصول عن تراجم بعض أعلام القيروان وعلمائه، فكان الاعتماد عليه في محطات مختلفة من الفصل الثاني كاملاً.

صعوبات البحث:

الحقيقة أنني لم أجد أي صعوبات خلال البحث، وقد تيسر العمل بفضل الله وحمده، غير أن هناك ضوابط علمية حالت دون إثراء البحث والتوسع فيه لاسيما في موضوع كهذا، وهنا أذكر ضابطين إثنين:

- **الأول:** تحديد عدد معين من الصفحات، وهذا الشرط فيه شيء من التقييد الذي دفعني إلى التغاضي عن كثير من الأمور التي كان ينبغي أن تُدرج، والواقع أن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى كتاب كامل حتى يُدرس على الوجه الذي ينبغي.
- **الثاني:** دراسة موضوع المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي يحتاج إلى طول وقت وطول نفس، فأقل المصادر يتجاوز الخمسمائة صفحة، والبحث فيها جميعاً يحتاج وقتاً أطول قد يصل إلى سنوات، وهذا ما لم يكن عند عملي على المذكرة، فقد كان لضيق الوقت أثره الواضح على العمل.

في الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في تمام هذا البحث على الوجه الذي ينبغي ويجب، وأن يكون هذا البحث على تواضعه إضافة لمكتبة قسمنا قسم التاريخ بجامعة زيان عاشور بالجلفة، وبصمة وإسهاماً منا كطلبة في إثراء المكتبة الوطنية، تتويجاً لجهود أساتذتنا الأفاضل وأن يُرى فيَّ حرصهم وتوجيههم، ساعياً كل السعي إلى تحقيق غايتهم فيَّ وفي زملائي من الطلبة.

التمهيد

الإسلام في بلاد الغرب

إن عالمية وشمولية الرسالة المحمدية اقتضت أن تجوب جميع بقاع الأرض مشارقها و مغاربها، فكانت هذه الشمولية عابرة لنطاق شبه الجزيرة العربية، فوصلت بعد ذلك إلى ما يعرف ببلاد المغرب التي سنأتي على بيان موقعها في موضع لاحق.

ولاشك أن وصول الإسلام إلى بلاد المغرب إنما كان عن طريق مراحل متعددة، أشهرها تلك التي كانت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، بقيادة عبد الله بن أبي السرح سنة 27هـ، ثم فتح ثانٍ على يد عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ، ثم توالت الفتوحات على بلاد المغرب، لتتحول على إثر ذلك إلى بلاد دانت بالإسلام إلى اليوم الناس هذا.

غير أن تطرقنا إلى مسألة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ستكون موجزة نوعاً ما، ذلك أن مسألة الفتح على علاقة مباشرة بمعرفة المذهب العقائدي الأول الذي دان به سكان بلاد الغرب الإسلامي، ثم إن معرفة أحوال الفتح وما بعدها تمكننا من الوقوف على الظروف الدينية العامة في هذه البلاد قبل ظهور ما يعرف أو ما سميناه بالمذاهب العقائدية.

من خصائص الدعوة الإسلامية أنها دعوة عامة للبشرية جمعاء، وهذا مصداقاً لقوله عز وجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:107]، وقوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:28]، كما أنها خصوصية آتاها الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ دون إخوانه من الأنبياء، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله[1] أن النبي ﷺ قال «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة**

(1) **جابر بن عبد الله:** جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَامِ ابن ثعلبة بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلِمَة، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، السَّلمي، المدني الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً، روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ وعن: عمر، وعلي، وأبي بكر، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، وطائفة. حدث عنه: ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وسالم بن أبي الجعد، والحسن البصري، والحسن بن محمد بن الحنفية....، مات جابر بن عبد الله سنة ثمانٍ وسبعين، وهو ابن أربعٍ وتسعين سنة، وكان قد ذهب بصره أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/1985م، ج03، ص،ص: 189، 192

فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة»[1]

فكان من مقتضيات عموم الرسالة المحمدية أن تجوب جميع أرجاء المعمورة، غير أن ذلك لم يكن في حياته عليه الصلاة والسلام، بل كان في حياة الصحابة ﷺ وبداية من عهد الخليفة الأول أبوبكر الصديق ﷺ، وذلك لإدراكهم لحقيقة وضرورة تبليغ رسالة الإسلام امتثالاً لقوله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[2] فاستمرت بذلك الفتوحات الإسلامية التي أشرقت بفضلها شمس الإسلام على الأمصار شرقاً وغرباً.

وعملاً بسيرة الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كانت العهدة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، الذي تميزت الفتوحات في عهده بأنها –إن صح التعبير– فتوحات عابرة للقارات، ففي عهده تم فتح بلاد إفريقية كما سنبين.

1- فتح برقة[3] وطرابلس

لا شك أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب كان مبتدأه من ناحيته الشرقية، والتي تبدأ من برقة شرقاً، وهذا طبيعي، فبعد أن تم فتح مصر فالمرحلة الموالية ستكون فتح برقة باعتبارها محاذية لمصر وأقرب منطقة من جغرافيا المغرب الإسلامي إلى مصر، وقد قاد هذا الفتح عمرو بن العاص ﷺ، يقول عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم في كتابه فتوح مصر والمغرب: "سار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر

---

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – دمشق –، ط5، 1414هـ/1993م، ج01، ص128

(2) محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، ج03، ص275

(3) **برقة:** واسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس تفسيره خمس مدن [...] ومدينة برقة في صحراء حمراء التربة فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها، وعلى ستة أميال منها الجبل، وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة وتنمى على مراعيها، وأكثر ذبائح أهل مصر منها، ويحمل منها إلى مصر الصوف والعسل والقطران [...] وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول الله ﷺ، وحول مدينة برقة قبائل من لواتة ومن الأفارقن وفي الطريق من برقة إلى إفريقية وادي مسوس.(أنظر: أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، د ر ط، 1992م، ج02، ص553)

ألف دينار يؤدونها إليه جزية، على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم [...]، ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خارج إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها"[1].

"والواضح أن الحملة التي قام بها عمرو بن العاص في هذا الاتجاه، والتي أثمرت عن فتح برقة وطرابلس لم تكن عملاً مخططاً له، إذ لم تكن هناك خطة مسبقة للفتح المنظم في ذلك الوقت، تتعدى مصر، وربما قدر عمرو أن تكون للبيزنطيين قوات في برقة وطرابلس قد تغريهم بالتحصن هناك والتربص حتى تحينن الفرصة للثأر، والعودة إلى مصر لاستعادتها، فكان عليه فتح هذه المنطقة وتأمين مركز المسلمين في مصر.

لذلك خرج بقواته من الإسكندرية في عام 22هـ، بعد أن اطمأن على استقرار الأوضاع في مصر، وتوجه نحو برقة التابعة للإمبراطورية البيزنطية، وتسكنها قبيلة لواتة البربرية"[2].

وقد شاء الله أن يكون هذا الفتح في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي، فيذكر الرعيني القيرواني أن فتح برقة وطرابلس كان سنة ثلاثة وعشرون للهجرة، يقول الرعيني القيرواني: "اعلم أن الخلفاء الراشدين ﷺ فتح في أيامهم جل بلاد الشرق، ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والإسكندرية بعث عقبة بن نافع إلى برقة وزويلة وما جاورها من البلاد فصارت تحت ذمة الإسلام، وسار عمرو بن العاص فغزا مدينة طرابلس وافتتح جبال نفوسة وكانوا على دين النصرانية، كل هذا في زمن عمر بن الخطاب ﷺ في سنة ثلاث وعشرين"[3].

"ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين (22هـ)، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال: غزا عمرو بن العاص طرابلس في سنة ثلاث وعشرين"[4]، "وكانت – أي طرابلس – مرفأً حصيناً فيه حامية بيزنطية قوية، فأقفلت أبوابها، واستعد السكان للحصار الذي ضربه المسلمون عليهم، وأملوا في تلقي إمدادات عن

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، د ر ط، 1415هـ، ص198

(2) محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط1، 1424هـ/2003م، ص320

(3) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1386هـ، ص23

(4) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم، المصدر السابق، ص198

طريق البحر تساعدهم على الصمود، والمعروف أن الجبهة البحرية كانت مفتوحة وغير محصنة، وذلك بفعل اعتمادها على قوة البحرية البيزنطية، وانقضت عدة أسابيع دون أن يلوح في الأفق ما يشير إلى إمكان وصول المساعدة [...] وعلم المسلمون آنذلك أن الجهة البحرية خالية من الدفاعات وغير محصنة، وأنهم يستطيعون النفاذ إليها من هناك، فدخلت جماعة منهم بين أسوار المدينة [...] وصاح أفرادها "الله أكبر" [...] فذعر المدافعون عن المدينة، ودبت الفوضى في صفوفهم، فحملوا ما استطاعوا من متاعهم، وأسرعوا إلى السفن، وأبحروا عليها هاربين، ولما رأى الحراس فرار الحامية تركوا مراكزهم، فدخل عمرو وجيشه إلى المدينة"[1].

2- فتح بلاد افريقية[2]

أما عن أحداث فتح بلاد إفريقية، فلا شك أنها كانت مسبوقة بجملة من القرارات –إن شئنا أن نسميها كذلك– السياسية، والتي كان من أشهرها "عزل عثمان لعمر عن مصر،

(1) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص321

(2) **إفريقية:** كانت تطلق في القديم على القطر التونسي اليوم (محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، د ر ط، 2010م، ص13)، وجاء في كتاب "المسالك والممالك" لـــ "أبو عبيد البكري" ما نصه: قال قوم إنها أفريقية صاحبة السماء، وقال آخرون: سميت إفريقية لأن إفريقش بن أبرهة الرئش غزا نحو المغرب حتى انتهى إلى طنجة أرض البربر، وهو الذي بنى إفريقية وباسمه سميّت، وقيل سميّت بأفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى.

وقال قوم إنما سمّوا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم، وقد زعموا أن اسم إفريقية ليبية فسميّت ببنت يافوه بن يونش الذي بنى مدينة منفيش بمصر، وهي التي ملكت ملك إفريقية أجمع فسميّ بها.

وحد إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى مدينة طنجة الخضراء غرباً، واسم طنجة مورطانية، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان، وهي جبال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق. (أنظر: أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ج02، ص571)

واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح[1] عليها"[2]، يقول الطبري: "فمما كان فيها (أي سنة سبع وعشرين) من ذلك فتح إفريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبي السرح، كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا محدّث، عن إسحاق ابن عيسى، عن ابن معشر، وهو قول الواقدي أيضاً، ذكر الخبر عن فتحها، وعن سبب ولاية عبد الله بن سعد بن أبي السرح مصر، وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها: كتب إليَّ السريّ، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهمي، فولي عثمان، فأقرهما سنتين من إمراته ثم عزل عمراً، واستعمل عبد الله بن أبي السرح"[3].

وبعد أن "كان عمرو بن العاص قد أمَّن حدود مصر الغربية بفتح برقة صلحاً في عام (22هـ/643م)، وفتح طرابلس الغرب عنوة في العام التالي"[4]، تولى بعد ذلك عبد الله بن أبي سرح مهمة فتح بلاد إفريقية، حيث "دخلت منطقة المرناق، أي القسم الجنوبي من إفريقيا الرومانية، كان يحكم البلاد آنذاك البطريق غريغوار (جرجير)"[5]، يقول ابن كثير في معرض حديثه عن أحداث سنة سبع وعشرين: "أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد إفريقية، فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلاً"[6]، وكان "في جيشه عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف، وقيل: في مائتي ألف، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة،

---

(1) **عبد الله بن أبي سرح:** عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي، من قريش: فاتح إفريقية، وفارس بني عامر، من أبطال الصحابة، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، وكان من كتَّاب الوحي للنبي ﷺوكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر، وولي مصر سنة 25هـ بعد عمرو بن العاص، فاستمر نحو 12 عاما، زحف في خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعقبة بن نافع، ولحق بهم عبد الله بن الزبير (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج4، ص–ص: 88–89)

(2) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، تق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/1985م ، ج2، ص462

(3) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر–، د ر ط، 1970م، ج4، ص253

(4) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص381

(5) عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي للكتاب – المغرب –، ط1، 2018م، ص121

(6) إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار المعرفة – بيروت –، ط4، 1419هـ/1998م، م4، ج7، ص163

فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه، قال عبد الله بن الزبير: فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف، وهو راكب على برذون[1]، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي السرح، فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان، قال: فأمر بهم فحموا ظهري، وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه – وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك – فلما اقتربت منه أحس مني الشر ففر على برذونه، فلحقته وذففت[2] عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبَّرت، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فغنموا غنائم جمة وأموالاً كثيرة، وسبياً عظيماً، وذلك ببلد يقال له سبيطلة – على يومين من القيروان –"[3].

لم يكن فتح عبد الله بن أبي سرح هو الفتح الوحيد لبلاد إفريقية، فقد شهدت هذه الأخيرة فتوحات متعاقبة، فكان من ذلك فتح عقبة بن نافع لها فتحاً ثانٍ أعقب ذلك الذي كان على يدي ابن السرح، والذي كان سنة خمسين للهجرة على قول المؤرخين، يقول ابن كثير: "وفي هذه السنة (أي سنة 50) عزل معاوية عن مصر معاوية بن خديج وولى عليها من إفريقية مسلمة بن مخلد، وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهري عن أمر معاوية بلاد إفريقية، واختط القيروان – وكان غيضة تأوي إليها السباع والوحوش والحيات العظام، فدعا الله تعالى فلم يبق فليها شيء من ذلك حتى أن السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها، والحيات يخرجن من أجحارهن هوارب – فأسلم خلق كثير من البربر فبنى في مكانها القيروان"[4].

ومن الأمور التي سهَّلت على عقبة فتح بلاد المغرب أنه "كان يعرف المغرب حيث شارك في غزوة عبد الله بن سعد وقاد الجيش الذي استولى سنة 42هـ على واحة غدامس، لذا لما عُيّن على رأس المجاهدين كانت لديه خطة مدروسة محكمة، إلتحق بجنوب إفريقية سنة 50هـ [...]، جاعلاً في مقدمة أهداف الفتح منطقة قلَّ ما كان يوجد فيها الروم المدربون

(1) برذون: هو الخيل غير العربي. (عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، دار ابن الجوزي–القاهرة–، ط1، 1428هـ/2007م، ص77)

(2) ذففت عليه: أجهزت عليه، قتلته. (إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ص164)

(3) إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ص–ص: 163–164

(4) نفسه، ج8، ص435

على فنون الحرب والمتوفرون على أسلحة فتاكة، أي المنطقة التي أسميناها بمغرب الوسط، المستقل منذ ثلاثة قرون عن كل سيادة خارجية، لم يُكتب لعقبة أن يطبق خطته دفعة واحدة، إذ أعفي من منصبه وخلفه أبو المهاجر دينار[1] الذي انتهج سياسة لين استمال بها زعماء البربر وفي مقدمتهم كُسيلة، الذي قاد المقاومة ضد العرب فيما بعد، استعاد عقبة مأموريته سنة (62هـ/682م)، فرجع مصمماً العزم على إتمام الفتح، توغل في شمال شرق البلاد واستولى على لميس ثم باغاي ثم تاهرت"[2].

أما عن ما حصل بين عقبة بن نافع وكُسيلة، وسبب ارتداد هذا الأخير عن الإسلام وقتاله للمسلمين، فقد ذكرت الروايات "أن عقبة بن نافع أمر كُسيلة بذبح غنم كان عقبة قد أتى بها، فأبى كسيلة فعل ذلك فشتمه، فأضمر كسيلة الغدر، فراسله الروم ليُظهر بعد ذلك كُسيلة ما كان في نفسه من الغدر وجمع أهله وبني عمّه وقصد عقبة، فزحف عقبة إلى كسيلة، فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه [...]، فكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم وتقدموا إلى البربر وقاتلوهم، فقُتل المسلمون جميعهم لم يُفلت منهم أحد"[3]

3- فتح المغرب الأقصى

لم يتوقف الفتح الإسلامي عند حدود إفريقية بل استمر إلى أقاصي بلاد المغرب، فتم على إثر ذلك امتداد وستمرارية عملية الفتوحات التي عزم عليها المسلمون، وينقل لنا ابن الأثير تفاصيل فتح المغرب الأقصى، يقول ابن الأثير: "قدم موسى بن نصير إلى إفريقية سنة ثمان وثمانين، فوجد البلاد خالية لاختلاف أيدي البربر عليها، ولما سمعوا به فروا أمامه إلى المغرب فتتبعهم يقتل ويسبي ولا يدافعه أحد حتى بلغ السوس الأدنى، فاستأمنه

---

(1) دينار: المعروف بـــ أبي المهاجر: فاتح، من القادة، كان مولى لبني مخزوم، ولما ولي مسلمة بن مخلد مصر وإفريقية استعمله على إفريقية بدلا من عقبة بن نافع، فدخلها سنة 55هـــ ونزل بقرب القيروان، ووجه جيشاً افتتح به جزيرة شريك (وعرف بعد ذلك بالجزيرة القبيلة) وقاتله كسيلة البربري بقرب تلمسان، فظفر أبو المهاجر وأظهر كسيلة الإسلام، فاستبقاه واستخلصه، وإليه تنسب (عيون أبي المهاجر) القريبة من تلمسان، وهو أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الأوسط. (خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص6)

(2) عبد الله العروي، المرجع السابق، ص-ص: 122-123

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت –، ط1، 1417هـــ/1997مج3، ص207

البربر فأمَّنهم وولي عليهم واستعمل على بلاد طنجة طارق بن زياد مولاه وترك معه سبعة عشر ألف فارس من العرب والبربر، ثم رجع إلى إفريقية ففتح يجانة، وقبل كان فتحها على يد بسر بن أرطاة"[1].

ومما يدل على تمام هذا الفتح فتح بلاد المغرب الأقصى وتمكن المسلمين من ذلك، هو عزمهم على استمرار الفتح تجاوز التوقف عند حدود المغرب الأقصى، فكانت رغبة عثمان بن عفان ﷺ في فتح بلاد الأندلس، فبعد أن أتمَّ المسلمون فتح إفريقية (بلاد المغرب) جاءهم الأمر من عثمان بن عفان ﷺ بالتوجه نحو بلاد الأندلس لفتحها هي الأخرى، يقول ابن الأثير: لما افتتحت إفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس أن يسيرا إلى الأندلس، فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى من انتدب معهما: أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، فخرجوا ومعهم البربر، ففتح الله على المسلمين وزاد في سلطان المسلمين مثل إفريقية، ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن إفريقية ترك في عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس، فكان عليها"[2].

كان هذا موجزاً لأحداث الفتح الإسلامي التي شهدها المغرب الإسلامي، والذي يهمنا في هذا الباب هو الفترة التي كان فيها الفتح، والزمن الذي عرفت فيه بلاد المغرب الإسلام اعتنقته ودانت به، وهي فترة مبكرة جداً كما رأينا فقد ابتدأت منذ سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، ونقطة مهمة ثانية تجدر الإشارة إليها وهي أن من عرَّف أهل المغرب بالإسلام ودعاهم إليه هم صحابة رسول الله ﷺ، والمعنى أن المغاربة قد أخذوا الإسلامي غضاً طرياً من الصحابة مباشرة.

(1) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المصدر السابق ، ص33

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص466

التعريف ببعض المفاهيم والمصطلحات

ونحن بصدد البحث في موضوع المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي، ينبغي أن نقدم بين يدي البحث بجملة من المفاهيم والمصطلحات المهمة التي لا يمكن فهم البحث إلا من خلالها.

مفهوم العقيدة:

لغةً: كلمة "عقيدة" مأخوذة من العقد والربط، والشد بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصة، يقال: عقد الحبل[1]، عقد: العقد: نقيض الحل؛ عقده يعقده عقدا وتعقادا وعقده، وقد انعقد وتعقد، والمعاقد: مواضع العقد، والعقيد: المعاقد[2].

اصطلاحاُ:

تُعرَّف العقيدة في الاصطلاح بالعديد من التعريفات المختلفة، وسبب الاختلاف يرجع إلى مذهب المُعرِّف لها، فقد تم تعريف العقيدة بأنها: " الجزم المطابق للواقع عن دليل"[3]، أما علما الكلام فيُعرفونها بأنها: "الإيمان المطابق للواقع الثابت بدليل أو الإدراك المطابق للواقع الناشئ عن دليل"[4]، وعند أهل الحديث تأتي العقيدة بمعنى اليقين وهو "اعتقاد أن الشيء كذا مع اعتقاد أنه لا يكون إلا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تغيره"[5]

(1) سعيد بن وهف القحطاني، نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير – الرياض –، د ر ط، د س 3، ص06

(2) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت –، ط3، 1414هـ، ج3، ص296

(3) فضل حسن عباس، التفسير والمفسرون، دار النفائس – الأردن –، ط1، 1437هـ/2016م، ج1، ص538

(4) نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروقن ط3، 1418هـ/1998م، ص26

(5) محمد بن أحمد السفاريني، لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، مجلة المنار الإسلامية – مصر –، ط1، 1324هـ، ج2، ص418

مفهوم المذهب العقدي

المذهب لغة:

وهو ذهاب الشيء: مضيه. يقال ذهب يذهب ذهابا وذهوبا. وقد ذهب مذهباً حسناً[1]

والمذهب: مصدر، كالذهاب. وذهب به وأذهبه غيره: أزاله. ويقال: أذهب، والمَذْهَب: المُتَوَضّأُ، لأنه يذهب إليه. وفي الحديث: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان إذا أراد الغائط أبعد في المذهب"[2]

المذهب اصطلاحاً:

وفي الاصطلاح يأتي المذهب العقدي بمعنى الاعتقاد، يقول صاحب كتاب "المعتمد في أصول الفقه": " اعلم أن مذهب الإنسان هو اعتقاده فمتى ظننا اعتقاد الإنسان أو عرفناه ضرورة أو بدليل مجمل أو مفصل قلنا إنه مذهبه ومتى لم نظن ذلك ولم نعلمه لم نقل إنه مذهبه"[3]

ومما يقع الخلط فيه هو عدم توضيح الفرق بين المذهب العقائدي والمذهب الفقهي، فالأول يتعلق بعقيدة الإنسان، فيما يتعلق الثاني بمذهبه في إصدار الأحكام الشرعية على الأمور، لذلك المذهب الفقهي يختلف في تعريفه عن المذهب العقائدي، فهو – أي المذهب الفقهي –: " ما نص عليه الإمام، أو أومأ إليه، أو خرجه أصحابه، أو ما استنبطوه من قوله، أو تعليله"، وأنه – أي المذهب الفقهي –: ما ذهب إليه الإمام من الأحكام الاجتهادية"[4]، ويُعرَّف كذلك بأنه: حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة من الأحكام الاجتهادية ويطلق

---

(1) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ر ط، 1399هـ/1989م ، ج2، ص362

(2) جمال الدين ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص394

(3) محمد بن علي الطيب البَصْري، المعتمد في أصول الفقه، دار الكتب العلمية – بيروت –، ط1، 1403هـ، ج2، ص313

(4) خالد الرويتع، التمذهب دراسة نظرية نقدية، دار التدمرية – الرياض –، ط1، 1434هـ/2013م، ج1، ص68

عند المتأخرين من أئمة المذاهب على ما به الفتوى من باب إطلاق الشيء على جزئه الأهم"[1]

مفهوم بلاد المغرب الإسلامي:

من المفاهيم المهمة التي وجب تعريفها هو مفهوم بلاد المغرب الإسلامين التي تشكل الإطار المكاني للبحث، والتي اتفق أكثر المؤرخين على تعريفها بنفس التعريف، ومن ذلك تعريف ياقوت الحموي وذلك بقوله: وقال أبو الريحان البيروتي إن أهل مصر يسمون ما عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب، ولذلك سميت بلاد إفريقية وما وراءها بلاد المغرب يعني أنها فرقت بين مصر والمغرب فسميت إفريقية لا أنها مسماة باسم عامرها، وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية، وقيل: إلى مليانة، فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف"[2]، وجاء تعريف بلاد المغرب بأنها إفريقية كما ذكر ذلك عبيد البكري: "وحد إفريقية طولها من برقة شرقا إلى مدينة طنجة الخضراء غربا، واسم طنجة مورطانية، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان"[3]

ونختم مفهوم بلاد المغرب بالتعريف المشهور عند ابن خلدون، يقول ابن خلدون في تعريفه لبلاد المغرب: "وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة، وإنما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب في هذا العرف لهذا العهد. وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم. فأما المغرب الأقصى منه وهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق إلى أسفي حاضرة البحر المحيط وجبال درن من جهة الغرب"[4]

إلى هنا نكون قبل الخوض في موضوعنا قد خرجنا بجملة من المفاهيم التي لا غنى لنا عنها فيما سيأتي من البحث، فعرفنا تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي، والتيي

(1) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي الرعيني، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412هـ/1992م، ج1، ص24

(2) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر – بيروت –، ط2، 1995م، ج1، ص228

(3) أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ج2، ص571

(4) عبد الرحمن بن خلدون، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر – بيروت –، ط1، 1401هـ/1981م، ج6، ص133

نستخلص منها أن إسلام المغاربة أُخذ عن الصحابة مباشرة، خالياً خلواً تاماً من شوائب التمذهب، بالإضافة كذلك إلى معرفة مفهوم المذهب لغة واصطلاحاً، كما تعرفنا على ما يعنيه مفهوم العقيدة وبلاد المغرب الإسلامي، وهذه المفاهيم هي التي ارتأيت أنه من الواجب توضيحها والتعرض لها.

الفصل الأول

التاريخ العام للمذاهب العقدية

الفصل الأول: التاريخ العام للمذاهب العقدية

المبحث الأول: أهل الحديث

المبحث الثاني: المعتزلة

المبحث الثالث: الأشاعرة

المبحث الرابع: الإباضية

المبحث الخامس: الشيعة

في هذا الفصل وتحت هذا العنوان "التاريخ العام للمذاهب العقدية" سنتطرق إلى موضوع المذاهب العقائدية بشكل عام، مفهوماً، وتاريخاً، وأصولاً، والذي سنتعرف من خلاله أيضاً على خمسة من أشهر المذاهب العقدية التي تنتسب إلى الإسلام، المنضوية تحت لوائها، رغم التباينات والخلافات القائمة فيما بنها، فتضمن هذا الفصل مذهب أهل الحديث، والمعتزلة، والأشاعرة، والإباضية والشيعة.

المبحث الأول: أهل الحديث

المطلب الأول: مفهوم أهل الحديث

قبل التطرق لتاريخ مذهب أهل الحديث لابد لنا من التعريف بهم ومن هم، إذ بمعرفتهم يمكن أن نعرف تاريخهم على وجه أقرب للتاريخ الحقيقي لظهورهم.

يظهر من خلال التسمية "أهل الحديث" أنهم الذين اعتنوا بجمع حديث النبي ﷺ وتدوين سنته، وهذا الذي عرفهم به الشهرستاني بقوله: وهم أهل الحجاز من أصحاب مالك بن أنس، وأصحاب محمد بن إدريس الشافعي، وأصحاب سفيان الثوري، وأصحاب أحمد بن حنبل، وأصحاب داود بن علي بن محمد الأصفهاني، وإنما سموا "أصحاب الحديث" لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث، ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس – الجلي والخفي – ما وجدوا خبراً أو أثراً"[1].

ويمكن أن نأخذ صفة أخرى من صفات أهل الحديث بناءً على تعريف الشهرستاني، وذلك في قوله " وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس – الجلي والخفي – ما وجدوا خبراً أو أثراً" والذي نفهم من خلاله أن أهل الحديث يأخذون الأحكام من القرآن بدرجة أولى، ومن السنة دون محاولة التأويل، وإنما يقوم الأمر على تمرير النصوص كما جاءت، على خلاف باقي الفرق الأخرى كما سيظهر معنا خلال البحث.

وغير بعيد من تعريف الشهرستاني نجد أن الأسفرييني قد عرفهم بنفس التعريف، فقد أورد في كتابه "التبصير في الدين" ما نصه: "وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ وأكثر تبعاً لسنته من هؤلاء ولهذا سموا أصحاب الحديث وسموا بأهل السنة والجماعة، ومنها أن النبي ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية قال: ما أنا عليه وأصحابي، وهذه الصفة تقررت لأهل السنة لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول ﷺ والصحابة ﷺ"[2].

---

(1) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا، دار المعرفة – بيروت –، ط3، 1414هـ/1993م، ج01، ص243

(2) طاهر بن محمد الأسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان –، ط1، 1403هـ/1983م، ص185

هذا مجمل تعريف أهل الحديث، أما عن أتباع هذا المذهب فهم كبار أئمة الإسلام، وأصحاب المذاهب الفقهية الكبرى، فقد كان الإمام مالك من أصحابه –أي مذهب أهل الحديث–، إذ ذكر البيهقي (384–458هـ) في كتابه "مناقب الشافعي" أن الإمام الشافعي قال: إذا جاء الأثر فمالك النجم"[1]، ويقصد بالأثر الحديث، وهو أيضاً مذهب الإمام الشافعي، "قال أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ): حدثنا محمد بن إبراهيم، قال سمعت الخضر بن داود، يقول: سمعت الحسن بن محمد الزعفراني، يقول: قال محمد بن الحسن: إن تكلم أصحاب الحديث يوماً فبلسان الشافعي"[2]، كما أنه مذهب سفيان الثوري وأحمد بن حنبل وداود بن علي بن محمد الأصفهاني كما سبق وأن ذكرنا في التعريف الذي نقلناه عن الشهرستاني.

المطلب الثاني: التاريخ العام لأهل الحديث

لا شك أن ظهور مذهب أهل الحديث والأثر مرتبط ببوادر جمع السنة وتدوينها، وعليه يمكن تحديد تاريخ بداية المذهب بأولى محاولات تدوين السنة، وأقول تدوين بمعنى كتابتها وإلا فإن السنة كانت محفوظة في صدور الصحابة ومن بعدهم التابعون وأتباعهم، وهذا التوضيح حتى لا يتوهم القارئ أن السنة نشأت مع التدوين.

(1) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مناقب الشافعي، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة التراث – القاهرة –، ط1، 1390هـ/1970م، ج01، ص503

(2) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة دار السعادة – مصر –، د ر ط، 1394هـ/1974م، ج09، ص91

ما وقفت عليه خلال البحث أن أول من قام بكتابة الحديث وتدوينه غير معروف على وجه التحديد، فمنهم من يرى أن ابن شهاب الزهري[1] هو أول من قام بجمع الحديث، ومنهم من يرى أنه ابن جريج[2].

ومنهم من قال إن مالك بن أنس[3] أول من جمع الحديث في الموطأ وغير ذلك من الآراء المختلفة، وعلى ذلك سننقل ما تناقلته الكتب التي أرَّخت لموضوع جمع الحديث.

قال الإمام السيوطي في ألفيته:

أول جامع الحديث والأثر ابن شهاب آمراً لـــــــه عمر

وأول الجـــــامع للأبواب جماعة في العصر ذو اقتراب

---

(1) **ابن شهاب الزهري (الإمام الزهري):** ابن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام العلم، حافظ زمانه، أبوبكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام، روى عن: ابن عمر وجابر بن عبد الله شيئاً قليلاً، ويُحتمل أن يكون سمع منهما، وأن يكون رأى أبا هريرة وغيره، فإن مولده فيما قاله دُحيم وأحمد بن صالح: في سنة خمسين، وفيما قاله خليفة بن خياط: سنة إحدى وخمسين (شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج05، ص326)

(2) **ابن جريج:** ابن جريج الأموي عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الحزم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة، حديث عن: عطاء بن أبي رباح – فأكر وجوَّد–، وعن: ابن أبي مليكة، ونافع مولى ابن عمر، وطاووس حديثاً واحدا قوله، وذُكر أنه أخذ أحاديث صفية بنت شيبة، وأراد أن يدخل عليها فما اتفق، وأخذ عن: مجاهد حرفين من القراءات، وميمون بن مهران، ويوسف بن ماهك، وعمرو بن شعيب، وعمرو بن دينار، وعكرمة العباسي مُرسلاً، وعكرمة بن خالد المخزومي[...]، قال أبو محمد بن قتيبة: مولد ابن جريج سنة ثمانين عام الجَحَّاف[...] وقال يحيى بن القطان، ومكي بن إبراهيم، وأبو نعيم، وعدةٌ: مات سنة خمسين ومائة (شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، تق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/1985م، ج06، ص،ص، ص: 3254، 333، 334)

(3) **مالك بن أنس:** قال البخاري: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبح كنيته أبو عبد الله حليف عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي ابن أخي طلحة بن عبيد الله، كان إماماً روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري ، وأخبرني أحمد ابن فتح قال حدثنا أحمد بن الحسن الرازي قال حدثنا روح بن الفرج أبو الزنباع قال سمعت أبا مصعب يقول: مالك بن أنس من العرب صلبه وخلفه في قريش في بني تيم بن مرة، وقال خليفة بن خياط: مالك بن أنس بن أبي عامر من ذي أصبح من حمير، مات سنة تسع وسبعين يكنى أبا عبد الله، وقال الواقدي: عاش مالك تسعين سنة، وقال سحنون عن عبد الله بن نافع أن مالكا توفي وهو ابن سبع وثمانين سنة سنة تسع وسبعين ومائة أقام مفتيا بالمدينة بين أظهرهم ستين سنة، قال أبو عمر: لا أعلم في نسبه اختلافاً بين أهل العلم بالأنساب أنه مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن حنبل بن عمرو ابن الحارث وهو ذو أصبح (ابن عبد البر، التمهيد، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن –، ط1، 1439هـ/2017م، ج1، ص–ص: 706–707)

كابن جريج وهُشيم مالك ومعمرٍ وولـــــد المـــــبارك

وبالرجوع إلى شرح هاته الأبيات في كتاب "فتح رب البرية في تيسير قراءة الألفية"[1] نجد شرح هذه الأبيات على النحو التالي:

- أول جامع الحديث والأثر ابن شهاب آمراً له عمر: معنى البيت أن أول من دون الحديث هو الإمام ابن شهاب الزهري بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–، والمراد بالتدوين المذكور هو التدوين الرسمي، بحيث يكون مجموعا مرتباً، وإلا فقد يكتب في الرقاع والعظام من لدن زمن رسول الله ﷺ وهلم جراً.
- وأول الجامع للأبواب جماعة في العصر ذو اقتراب: ومعنى البيت أن أول من جمع الحديث جماعة متقاربون في الزمن، وذلك أثناء المائة الثانية، فلا يُدرى أيهم سبق لكونهم في وقت واحد، وهم:
- كابن جريج وهُشيم مالك ومعمرٍ وولد المبارك: الإمام عبد الملك بن عبد العزيز (بن جُريج) الأموي مولاهم، أحد الأعلام، من تابعي التابعين، وهُشيم بضم الهاء وفتح الشين، ابن بشير بفتح الباء، أبي معاوية، السلًمي الواسطي من تابعي التابعين، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومعمر بن راشد أبي عروة الإمام الحافظ، وعبد الله ولد المبارك بن واضح المروزي الحنظلي، مولاهم أبي عبد الرحمن الإمام المُجمع على جلالته وإمامته في كل شيء.

ومن باب التمثيل على الخلاف في مسألة من بدأ تدوين الحديث أولا، نأخذ التباين فيما نقله ابن عبد البر وشمس الدين الذهبي، فابن عبد البر ينقل لنا عن عبد العزيز الدراوردي قوله: أول من دوَّن العلم وكتبه ابن شهاب"[2]، ويقصد به الإمام الزهري، أما الذهبي فينقل قول عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: من أول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج، وابن أبي عَرُوبة"[3]، وهاهنا لا يمكننا الترجيح بين النقلين، غير أننا نستند على ما ذكرناه في موضع

(1) شعبان العودة، فتح رب البرية في تيسير قراءة الألفية، دار اللؤلؤة، ط1، 1442هـ/2021م، ص–ص: 121–122

(2) ابن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط1، 1414هـ/1994م، ج01، ص320

(3) شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج06، ص327

آنف من أن السبب في عدم القدرة على ترجيح أحد الأقوال على الأخرى راجع إلى تقارب الزمان بين هؤلاء الأعلام.

وعموماً وبصرف النظر عن من بدأ تدوين الحديث أولا، يمكن القول أن البداية الفعلية لتدوينه كانت مع مطلع القرن الثاني للهجرة.

وهنا تجدر الإشارة إلى نقطة غاية في الأهمية، وهي مسألة التمذهب، فتدوين الحديث لم يرتبط بفكرة تأسيس مذهب وإنما جُمع الحديث حفاظاً على السنة، وبالتالي فإن إطلاق لفظ "أهل الحديث" باعتباره مذهباً عقدياً لم يكن إلا بعد ظهور المذاهب الأخرى لاسيما المذاهب الكلامية، وهو الأمر الذي سنأتي على بيانه في موضع لاحق.

قال ابن أبي زيد القيرواني: والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم"[1].

قول ابن عبد البر فيهم: "ولا أعلم بين أهل الدين والحق، من أهل الرأي والأثر خلافاً فيما وصفت لك"[2]

جاء في مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (كما نظمها الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي المالكي المتوفى سنة 1285هـ)[3]:

والاقتداء بهم في الدين مفترضٌ فاقتد بهم واتبع السورا

وترك ما أحدثه المحدثون فكم ضلالة تبعت والدين قد هجرا

إن الهدى ما هدى الهادي إليه وما به الكتاب كتاب الله قد أمرا

فلا مراء وما في الدين من جدل وهل يجادل إلا كل من كفرا

(1) عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، مقدمة أبي زيد القيرواني، تح: بكر بن عبد الله، دار العاصمة، د ر ط، د س ن، ص61

(2) ابن عبد البر النمري القرطبي، االمصدر السابق (التمهيد)، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن –، ط1، 1439هـ/2017م، ج1، ص522

(3) عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، المصدر السابق، ص68

فهاك في مذهب الأسلاف قافية نظماً بديعاً وجيز اللفظ مختصرا

المطلب الثالث: أصول عقيدة أهل الحديث

هنا لما نتكلم عن أصول عقيدة أهل الحديث أو غيرهم فإننا سنركز على الأصول التي وقع فيها الاختلاف بينهم – أي بين الفرق الإسلامية –، والتي أدت إلى تمايز كل مذهب عقائدي عن غيره، وسنغض الطرف عن الأصول المشتركة بينها، على أن تكون الغاية توضيح الفوارق بين أصول العقيدة في كل منها.

لا شك أن مذهب أهل الحديث يتمايز عن غيره من المذاهب في بعض الأصول العقائدية، كالقول في ذات الله وأسمائه وصفاته، والإيمان، والقرآن الكريم، والقضاء والقدر وغير ذلك من الأصول، والتي سنأتي على بيان شيء منها بالتفصيل فيما يلي:

- **القول في الأسماء والصفات**

المشهور في مذهب أهل الحديث في هذا الباب أن القاعدة لديهم هي الإثبات من غير تكييف أو تمثيل أو اعتقاد المشابهة، والمعنى أنهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان نبيه، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه نبيه، دون تشبيه له بخلقه.

هذه العقيدة في باب الأسماء الأسماء والصفات هي العقيدة التي صرَّح بها عديد العلماء المتقدمين كأبوبكر الإسماعيلي (ت371هـ) في قوله: "ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ، خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف، وأنه عز وجل استوى على العرش بلا كيف"[1]، وبذلك قال أيضاً ابن أبي زمنين (ت 399هـ): واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً، والعجز عما لم

(1) أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، اعتقاد أئمة الحديث، تح: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة – الرياض –، ط1، 1412هـ، ص50

يُدَّعَ إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه"[1].

وممن قال بذلك أيضاً الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني[2] (373-449هـ): "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة – حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم – يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربَّهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له ﷻ ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ"[3].

- **القول في الإيمان**

الإيمان عند أهل الحديث لا يقتصر على التصديق، بل هو قول واعتقاد وعمل، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يُجزي واحد من الثلاثة بالآخر"[4]، وقال الإمام الأوزاعي[5]: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة، فكان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل،

---

(1) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، أصول السنة لابن أبي زمنين، تح: عبد الله بن محمد بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة –، ط1، 1415هـ، ص60

(2) **إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني:** أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر النيسابوري الصابوني، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة. (إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تح: أبو اليمين المنصوري، دار المنهاج، ط1، 1423هـ/2003م، ص11)

(3) إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، المصدر السابق، ص36

(4) أبو القاسم هبة الله اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – المملكة العربية السعودية –، ط8، 1423هـ/2003م، ج05، ص956

(5) **الإمام الأوزاعي:** قال عنه الذهبي: الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العُقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات، وقيل: كان مولده ببعلبك، حدث عن: عطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر الباقر، وعمرو بن شعيب، ومكحول، وقتادة، والقاسم بن مُخيمرة، وربيعة بن يزيد القصير، وبلال بن سعد، والزهري، وعبدة بن أبي لبابة، ويحيى بن أبي كثير، وأبي كثير السحيمي اليمامي [...]، وكان مولده في حياة الصحابة، ولد سنة ثمان وثمانين، وكان خيِّراً، فاضلاً، مأموناً، كثير العلم والحديث والفقه، حجة، توفي سنة سبع وخمسين ومائة. (شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج07، ص،ص: 107، 109)

والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم جامع كما جمع الأديان اسمها، وتصديقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدَّق ذلك بعمله، فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها"[1]، وبمثل قول الشافعي والأوزاعي قال أيضاً أبو عبيد بن سلام[2] (ت 224هـ): اعلم – رحمك الله – أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين: فقال إحداهما: الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة وعمل الجوارح.

وقالت الفرقة الأخرى بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر، وليست من الإيمان.

وإنا نظرنا في اختلاف الطائفتين فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً وينفيان ما قالت الأخرى"[3].

هذا فيما يخص تعريف الإيمان عند أهل الحديث، أما في مسألة الاعتقاد بأن الإيمان يزيد وينقص فإن أهل الحديث يعتقدون أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، يقول الصابوني: "ومن مذهب أهل الحدديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[4].

- **القول في القرآن الكريم**

أما الأصل الثالث من الأصول التي رأينا أنها عقيدة فارقة بين أهل الحديث وبعض الفرق، فهو قولهم في القرآن الكريم وعقيدتهم فيه، فهم – أي أهل الحديث – يعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه، وخطابه، ووحيه، وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن – الذي هو كلام الله ووحيه – هو الذي نزل به جبريل على الرسول

(1) أبو القاسم هبة الله اللالكائي، المصدر السابق، ج05، ص956

(2) **أبو عبيد بن سلام:** قال عنه الذهبي: أبو عبيد القاسم بن سلاَّم بن عبد الله، الإمام الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، مولده سنة سبع وخمسين ومائة، له كتاب "الأموال" في مجلد كبير سمعناه بالاتصال، وكتاب "الغريب" مروي أيضاً، وكتاب "فضائل القرآن" وقع لنا، وكتاب "الطهور"، وكتاب "الناسخ والمنسوخ"، وكتاب "المواعظ" (شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص–ص: 490–491)

(3) أبو عبيد القاسم بن سلام، الإيمان، تح: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط1، 1421هـ/2000م، ص10

(4) إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، المصدر السابق، ص78

ﷺ قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً نذيراً، كما قال ﷻ :﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:192–195]، وهو الذي بلغه الرسول أمته، كما أمرنا به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة:67]، فكان الذي بلَّغهم – بأمر الله تعالى – كلامه ﷻ، وفيه قال ﷺ: «**أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي**»، وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويُكتب في المصاحف، كيفما تُصرِّف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تُلي، وفي أي موضع قرئ، أو كتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم، وغيرها، كله كلام الله ﷻ، غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم"[1].

يقول الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ) والملقب بإمام أهل السنة والجماعة: "وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق"[2]، وقال ابن أبي زمنين: ومن قول أهل السنة: أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ وإليه يعود"[3].

- **القول في القضاء والقدر**

نختم أصول عقيدة أهل الحديث بأصل رابع ألا وهو قولهم في القضاء والقدر، فالخير والشر والحلو والمر عند أهل الحديث، بقضاء من الله ﷻ، وأمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله"[4]، قال الإمام أحمد بن حنبل: "فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه من أهل السنة حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار"[5].

(1) إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، المصدر السابق، ص40

(2) أحمد بن حنبل، أصول السنة، دار المنار – المملكة العربية السعودية –، ط1، 1411هـ ، ص–ص: 22–23

(3) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، المصدر السابق، ص82

(4) أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، المصدر السابق، ص–ص: 61–62

(5) أحمد بن حنبل، المصدر السابق، ص–ص: 20–21

المبحث الثاني: المعتزلة

المطلب الأول: مفهوم المعتزلة

"والسبب الذي له سمّيت المعتزلة بالاعتزال، أن الاختلاف وقع في أسماء مرتكبي الكبائر من أهل الصلاة، فقالت الخوارج: إنهم كفار مشركون، وهم مع ذلك فُسَّاق، وقال بعض المرجئة، إنهم مؤمنون لإقرارهم بالله ورسوله وبكتابه وبما جاء به رسوله، وإن لم يعملوا به، فاعتزلت المعتزلة جميع ما اختلف فيه هؤلاء، وقالوا: نأخذ بما اجتموا عليه من تسميتهم بالفسق، وندع ما اختلفوا فيه من تسميتهم بالكفر والإيمان والنفاق والشرك"[1].

"ويسمون أصحاب "العدل" و"التوحيد"، ويلقبون بـــ "القدرية" و "العدلية"، وهم قد جعلوا لفظ "القدرية" مشتركاً، وقالوا: لفظ القدرية يقال على من يقول بـــ "القدر" خيره وشره من الله تعالى، احترازاً من وصمة اللقب، إذ كان الذم به متفقاً عليه، لقول النبي ﷺ «القدرية مجوس هذه الأمة»[2].

"والمعتزلة يُقال: إن لها ولمذهبها إسناداً يتصل بالنبي ﷺ، ليس لأحد من فرق الأمة مثله، وليس يمكن خصومهم دفعهم عنه، وهو أن خصومهم يقرون بأن مذهبهم يُسند إلى واصل بن عطاء، وأن واصلاً يسند إلى محمد بن علي بن أبي طالب، وابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي، وأن محمداً أخذ عن أبيه علي، وأن علياً أخذ عن رسول الله ﷺ"[3].

المطلب الثاني: التاريخ العام للمعتزلة

المعروف في كتب التاريخ الإسلامي سيما التي أرخت للفرق الإسلامية وتناولتها بالبحث أن مؤسس مذهب المعتزلة هو واصل بن عطاء الملقب بالغزَّال، يقول السمعاني في كتابه "الأنساب": "وأصل المعتزلة عن واصل بن عطاء، كان ممن يأتي مجلس الحسن البصري بالبصرة، فلما ظهر الخلاف بين الجماعة وبين مرتكبي الكبائر من المسلمين فقالت الخوارج

(1) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية – بيروت–، ط1، 1439هـ/ 2017م، ص75

(2) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، المصدر السابق، ج01، ص56

(3) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، عيون المسائل والجوابات، تح: حسين خانصو، دار الفتح، ط1، 1439هـ/2018م، ص161

بتكفيرهم وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، خرج واصل عن قول الفريقين فزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وفسقه منزلة بين المنزلتين الإيمان والكفر، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عند سارية في مسجد البصرة، وانضم إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما "معتزلي" لما اعتزالوا قول الأمة في المنزلة بين المنزلتين"[1].

وعلى ضوء ما سبق فإن معرفة تاريخ نشأة مذهب الاعتزال من السهولة بمكان، فهو مرتبط تاريخياً بحياة مؤسس المذهب، الأمر الذي يدفعنا للنظر في ترجمة واصل بن عطاء وتحديد الفترة التي ظهر فيها مذهبه.

أما عن مؤسس المذهب فقد ترجم له ابن حجر في "لسان الميزان"، فهو "واصل بن عطاء البصري الغزَّال، المتكلم البليغ المتشدق الذي كان يلثغ بالراء، فلبلاغته هجر الراء وتجنبها في خطابه، سمع من الحسن البصري وغيره، قال أبو الفتح الأزدي: رجل سوء كافر.

قلت: كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة ومما قيل فيه:

ويجعل البُر قمحاً في تصرفه خالف الـــراء حتى احتال على الشعر

ولم يطق مطرا والقول يجعله فعاذ بالغـــــيث إشفاقا عـــلى المطر

وله من التصانيف: كتاب أصناف المرجئة وكتاب التوبة وكتاب معاني القرآن [...] مات سنة إحدى وثلاثين ومائة"[2]. انتهى كلام ابن حجر.

قال الذهبي: مولده سنة ثمانين بالمدينة"[3]

قيل: عرف بالغزَّال لترداده على سوق الغزْل ليتصدق على النسوة الفقيرات"[4].

---

(1) عبد الكريم بن محمد من منصور السمعاني، الأنساب للسمعاني، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1382هـــ/1962م، ج12، ص339

(2) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002م، ج08، ص369

(3) شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج05، ص464

(4) نفسه، ص465

خلاصة القول أنه من خلال ترجمة واصل فإن ظهور مذهبه لن يكون خارج نطاق الفترة التي عاش فيها، أي ما بين سنة ثمانين وسنة مائة وإحدى وثلاثين، حيث لم أقف خلال البحث على تاريخ مضبوط لاعتزال واصل بن عطاء لمجلس الحسن البصري، ما يعني استحالة التكهن أو الاجتهاد في تحديد هذا التاريخ على وجه الدقة.

المطلب الثالث: أصول عقيدة المعزلة

- **القول في الأسماء والصفات**

المعلوم أن المعتزلة فرقة كلامية اشتغلت بعلم الكلام، وقد أدى اشتغالهم بعلم الكلام إلى الخوض في الذات الإلهية بإسهاب وإن شئنا نقول مبالغة، فإن القارئ البسيط أو المبتدئ لكتب المعتزلة لا يمكنه فهم كلام شيوخهم ما لم يكن مطلعا بما يكفي على الفلسفة وعلم الكلام، بل يمكن القول إن المسلم العامي قد لا يستوعب ذهنه ما في كتبهم، وهذه الصعوبة والتخصيص في كلامهم ظاهرة في الشروحات التي شرحوا بها النصوص الشرعية، لاسيما في باب الأسماء والصفات، والتي سأسرد بعضها مع الشرح.

تأكيداً لما قلناه بأن الاعتزال مذهب ينفي الصفات الإلهية نبدأ بما قاله الشهرستاني عنهم: "القول بنفي صفات الباري تعالى، من العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضجية، وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين قال: ومن أثبت معنى وصفة قديمة، فقد أثبت إلهين"[1].

ولأن الشهرستاني أشعري وقد تقل قوة الاستدلال بقوله مقارنة بالاستدلال بأمهات كتب المعتزلة، كان لزاما أن ننقل كلام كبار شيوخ المعتزلة أنفسهم، يقول البلخي وهو من متقدمي شيوخ المعتزلة: "قال أهل التوحيد (يقصد المعتزلة) جميعا: إن الصفات كلها غيره، وهي كلامه الذي وصف به نفسه، أو كلام الواصفين له، وذهبوا في قولهم: إن صفات الذات ليست غيره إلى أنَّ وصفنا إياه بها ليس لشيء غيره، وإلى مثل قولهم: إن علم الله ليس غير الله، لم يريدوا بقولهم هذا أن له علماً به يعلم ليس هو غيره، بل أرادوا أنه عالم بنفسه لا

(1) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، المصدر السابق ، ج01، ص60

يحتاج إلى علم يعلم به"[1]. فقالوا لأجل ذلك إنه موجود قديم، ليَبِينَ من الموجود المُحدث، وقالوا: قادر لذاته، ليَبِينَ من القادر بقدرة، وقالوا: عالم بذاته، ليَبِينَ ممن تجوز عليه السِّنة والنوم والموت، وقالوا: هو سميع بصير، ليَبِينَ ممن يحتاج إلى صحة الآلات والحواس، وقالوا: هو مدرك للمُدركات لذاته، ليَبِينَ من الحي الذي قد يُدرك وقد يمتنع الإدراك عليه"[2].

ومن المعتزلة بل من رؤوسهم الذين ارتأيت الاستدلال بكلامهم "ابن خياط"، حيث يقول في كتابه الذي رد فيه على ابن الروندي ووصفه بالملحد ما نصه: "إنه لما فسد أن يكون القديم جل ثناؤه عالما بعلم محدث لما بيَّنا، وفسد أيضا أن يكون عالماً بعلم قديم لفساد قِدم الإثنين، صح وثبت أنه لم يزل عالماً بالأمور دقيقها وجليلها على ماهي عليه من حقائقها لنفسه لا بعلم سواه"[3].

يتضح من خلال النصوص السابقة أن المعتزلة قد فرقوا بين الصفة والموصوف في مسألة الأسماء والصفات، فالموصوف الذي هو الله ﷻ مباين للصفة، لذلك قالوا بخلق الصفة، لأنه لو لازمت الصفة الموصوف لكانت موجودة مع الله، وبهذا تثبت للصفة صفة كونها أزليه، لذلك لا يجوز عندهم وصف الله بصفة إلا أن تكون الصفة هي الله ذاته، فمثلا صفة العلم عندهم هي الله، إذ لو قلنا – بزعمهم – أن الله عالم لكان محتاجاً لعلم وهذا ما لا يجوز في اعتقادهم، والأمر ينطبق على باقي الصفات.

- **القول القرآن في القرآن الكريم**

على خلاف أهل الحديث يرى المعتزلة في عقيدتهم أن القرآن الكريم مخلوق، وينفون عنه أن يكون كلام الله ﷻ، وهي من العقائد التي خالف فيها المعتزلة غيرهم من المذاهب،

(1) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (عيون المسائل والجوابات)، ص258

(2) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، ص363

(3) عبد الرحمن بن محمد الخياط، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، تح: نيبرج، مطبعة دار الكتب المصرية، د ر ط، 1344هـ/1925م، ص112

وهنا سنستشهد بالكلام الواضح الذي صرَّح فيه أحد شيوخهم المتقدمين بهذه العقيدة وهو القاضي عبد الجبار (320 – 415هـ)[1] في كتابه "الأصول الخمسة".

يقول القاضي عبد الجبار ما نصه: "فإن قيل: أفتقولون قد أنعم الله علينا بأن كلفنا وأمرنا ونهانا وأن الكلام فعله؟، قيل له: نعم لأن الله ﷻ خلق العباد ثم أمرهم ونهاهم وكلفهم، كما خلقهم ثم أحسن إليهم، فكما أن الإحسان مُحدث فكذلك كلامه مُحدث، وقد قال ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء:02]، والذكر هو القرآن لقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾[الأنبياء:50]، وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[يس:69]، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب:37] والأمر هو القرآن، وقال الله تعالى: ﴿ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر:23]"[2].

ومن شيوخ المعتزلة الذين نُقل عنهم القول بخلق القرآن أبو علي الجبائي[3] إذ يقول: "ثم حدث بعد ذلك قول من أنكر خلق القرآن من المشبهة، والذي أداهم إلى ذلك اعتقادهم أن إلههم كصورة الإنسان له قلب ولسان، وأن كلامه في قلبه قبل أن يتكلم بلسانة فيكون قديماً، ولا يجوز أن يكون فيه ماهو مُحدث"[4].

---

(1) **القاضي عبد الجبار:** القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني، العلامة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، سمع من: علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، ولعله خاتمة أصحابه، ومن عبد الله بن جعفر بن فارس بأصبهان، ومن الزبير بن عبد الواحد الحافظ، وعبد الرحمن بن حمدان الجلاب، وحدث عنه: أبو القاسم التنوخي، والحسن بن علي الصَيْمري الفقيه، وأبو يوسف عبد السلام القزويني المفسر، وجماعة، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة [...]، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة، من أبناء التسعين. (شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص–ص: 244–245)

(2) القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، تح: فيصل بدير عون، لجنة التعريب والنشر –جامعة الكويت–، ط1، 1998م، ص86

(3) **أبو علي الجبائي:** الجبائي أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، مات بالبصرة سنة ثلاث وثلاث مائة، وعاش ثمانيا وستين سنة، وله: كتاب "الأصول"، وكتاب "النهي عن المنكر"، وكتاب "التعديل والتجويز"، وكتاب "الاجتهاد"، وكتاب "الأسماء والصفات"، وكتاب "التفسير الكبير"، وكتاب "النقض على ابن الراوندي"، كتاب "الرد على ابن كُلاب"، كتاب "الرد على المنجمين" [...] وأشياء كثيرة (شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص183)

(4) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، ص–ص: 109–110

كذلك من الذين اشتهروا بالاعتزال الزمخشري[1] صاحب الكشاف، فهو يقرر عقيدة المعتزلة في القول بأن القرآن الكريم حادث، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[الأنبياء:02]، يقول: قرَّر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ: بأن الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً، ويُحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة، ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون"[2]، وهنا يصرح الزمخشري بعقيدته الاعتزالية بقوله: " ويُحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة"، والإحداث بمعنى الخلق، أي كأنما يقول – إن صح تجاوزاً –: " ويخلق لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة.

قلنا سابقاً أن النفي عند المعتزلة ينطبق على جميع الصفات، لذلك هو ينطبق على صفة الكلام، فإذا قيل أن القرآن – حسب رأيهم – هو كلام الله، فمعنى ذلك أن القرآن جزء من الله، ولا يجوز التبعض ولا التجزؤ في حقه ﷻ، ومن هنا أتت عقيدة أن القرآن مخلوق عند المعتزلة.

- **القول في القضاء والقدر**

ذهبت المعتزلة في قولهم بالقدر إلى أن العبد يخلق أفعاله، ذلك أن الله تبارك وتعالى خلق فيهم القدرة على الاختيار، وبالتالي – على حد زعمهم – أن الله ﷻ لا يُقدر أفعال العباد، وهذا القول قد صرح به البلخي شيخ المعتزلة بقوله: واجمعوا – أي المعتزلة– أن الله لا يحب الفساد، ولا يخلق أعمال العباد، بل العباد يفعلون ما أمروا به ونُهُوا عنه بالقدرة

(1) **الزمخشري:** العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، صاحب الكشَّاف، والمُفضَّل، رحل وسمع ببغداد من: نضر بن البطر وغيره، كان مولده بزمخشر –قرية من عمل خوارزم –في رجب، سنة سبع وستين وأربع مائة، وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد، قال السمعاني: برع في الأدب، وصنف التصانيف، ورد العراق وخرسان، وما دخل بلداُ إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، كان علاَّمة نسَّابة، جاور مدة حتى هبَّت على كلامه رياح البادية، مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. (شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص–ص: 151–155)

(2) محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث – القاهرة –، ط3، 1407هـ/1987م، ج03، ص101

التي خلقها الله لهم وركَّبها فيهم، فيُطيعوا ويتركوا المعاصي، وأن أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله التي خلقها ﷻ، وهو المالك للقدرة التي في العباد"[1].

ومن شيوخ المعتزلة الذين نقلنا عليهم أبو الهذيل العلاَّف قوله: ومن زعم أن الله يقضي المعاصي ويقدِّرها من العامة يريد بذلك أنه علمها، لم أقل: إنه مجبِر ولا إنه كافر، وإذا قال: قضاها وقدَّرها، يريد أنه خلقها وأنشأها، فذلك هو المجبِر الكافر"[2].

وإنما سلكوا في ذلك مسلك "معبد الجهني" و "غيلان الدمشقي"، وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر مما كان يقرر قاعدة "الصفات" فقال إن الباري تعالى حكيم عارف، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ويحتم عليهم شيئاً ثم يجازيهم عليه"[3]، وقالوا: أن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم وعقودهم لم يخلقها الله ﷻ، ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون الله تعالى، وقالت طائفة هي أفعال موجودة لا خالق لها أصلا، وقال طائفة هي أفعال الطبيعة"[4]، قال أبو المعالي الجويني: "وذهبت المعتزلة ومن تبعهم من أهل الأهواء إلى أن الواجبات والمندوبات من الطاعات مرادة لله تعالى وقعت أو لم تقع، والمعاصي والفواحش تقع والله تعالى كاره لها غير مريد لوقوعها وهي تقع على كره، والمباحات وما لا يدخل تحت التكاليف من أفعال البهائم والمجانين تقع وهو لا يريدها ولا يكرهها"[5].

الذي أراده المعتزلة بهذا القول هو تنزيه الله ﷻ عن أن يخلق الشر، فنفوا عنه أن خالق لأفعال العباد، ما يعني أن للعبد حرية مطلقة في أفعاله بناء على القدرة التي خلقها فيه الله جل في علاه.

---

(1) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، ص03

(2) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (عيون المسائل والجوابات)، ص375

(3) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، المصدر السابق، ج01، ص61

(4) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة –، د ر ط، د س ن، ج04، ص146

(5) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، تح: فوقية حسين محمود، عالم الكتب – لبنان –، ط2، 1407هـ/1987م، ص110

- **القول في الإيمان والقول بالمنزلة بين المنزلتين**

ذكر أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين"[1] أن المعتزلة قد اختلفوا في معنى الإيمان على ستة أقاويل، سنذكرها بإيجاز:

- القول الأول: الإيمان هو جميع الطاعات فرضها ونفلها، وإن المعاصي على ضربين: منها صغائر، ومنها كبائر، وإن الكبائر على ضربين: منها ما هو كفر، ومنها ما ليس بكفر، وإن الناس يكفرون من ثلاثة أوجه: رجل شبَّه الله بخلقه، ورجل جوَّره في حكمه أو كذَّبه في خبره، ورجل رد ما أجمع المسلمون عليه عن نبيهم نصاً وتوفيقاً [...] والقائل بهذا القول هم أصحاب أبي الهذيل.
- القول الثاني: قول هشام الفوطي: الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها، والإيمان على ضربين: إيمان بالله، وإيمان لله، ولا يقال: إنه إيمان بالله، فالإيمان بالله ما كان تركه كفراً بالله، والإيمان لله ما كان تركه كفراً، ويكون تركه فسقاً نحو الصلاة والزكاة، فذلك إيمان لله، فمن تركه على الاستحلال كفر، ومن تركه على التحريم كان تركه فسقاً ليس بكفر.
- القول الثالث: قول عباد بن سليمان: الإيمان جميع ما أمر الله – سبحانه – به من الفرض، وما رغَّب فيه من النفل، والإيمان على وجهين: إيمان بالله وهو ما كان تاركه أو تارك شيء منه كافراً كالملة والتوحيد، والإيمان لله إذا تركه تارك لم يكفر.
- القول الرابع: قول إبراهيم النظَّام: الإيمان اجتناب الكبائر، والكبائر ما جاء فيه الوعيد، وقد يجوز أن يكون فيما لم يجئ فيه الوعيد كبيرة عند الله ويجوز ألا يكون فيه كبيرة [...] فالإيمان اجتناب ما فيه الوعيد عندنا وعند الله سبحانه.
- القول الخامس: الإيمان اجتناب ما فيه الوعيد عندنا وعند اللهن وهو ما يلزم به الاسم، وما سوى ذلك فصغير مغفور باجتناب الكبائر.
- القول السادس: قول محمد بن عبد الوهاب الجبائي يزعم أن الإيمان لله هو جميع ما افترضه الله – سبحانه – على عبادهن وأن النوافل ليس بإيمان، وأن كل خصلة من

(1) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت–، د ر ط، 1411هـ/1990م، ج01، ص–ص: 329–331

الخصال التي افترضها الله سبحانه فهي بعض إيمان لله، وهي أيضا إيمان بالله، وأن الفاسق الملي مؤمن من أسماء اللغة بما فعله من الإيمان.

وقد ذهبت المعتزلة إلى القول بقول لم يقل به أحد قبلهم ولا بعدهم، بل لقد تمايزت المعتزلة بهذا القول عن غيرها من المذاهب، فمؤسس المذهب المعتزلي ذهب إلى القول بالمنزلة بين المنزلتين، وهو حُكم حكم به واصل بن عطاء على مرتكب الكبيرة، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن، ولا كافر"[1]، ويقول عبد القاهر البغدادي: "وزعم – أي واصل بن عطاء – أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان"[2].ثم سار على هذا النحو من تبعه من شيوخ المعتزلة، "وعند المعتزلة كما الخوارج أن كل ذنب صغير أو كبير فهو مخرج عن الإيمان والإسلام فإن مات عليه فهو غير مسلم، وغير المسلم مخلد في النار"[3].

المبحث الثالث: الأشاعرة

المطلب الأول: مفهوم الأشاعرة

الحقيقة أن قولنا "مفهوم الأشاعرة" ليس مصطلحاً دقيقاً بما يكفي، وإنما أردنا به توضيح ما تعنيه كلمة "الأشاعرة"، فهي ليست كلمة دالة على مصطلح بقدر دلالتها على الانتساب إلى إمام من أئمة الإسلام.

على هذا القول فإن الأشاعرة هم "أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري[4]، يقول تاج الدين السبكي (ت 771هـ): "اعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقرر لمذهب السلف مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف

(1) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، المصدر السابق ، ج01، ص62

(2) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيروت –، ط2، 1977م، ص98

(3) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المصدر السابق،ج04، ص37

(4) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، المصدر السابق، ج01، ص106

نطاقاً وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدى به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يُسمى أشعرياً"[1].

خلاصة القول أن الأشاعرة هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، السائرون على طريفته وعلى مذهبه في العقيدة، والذي سيأتي معنا بيان لترجمته فيما يلي.

المطلب الثاني: التاريخ العام للأشاعرة

انتساب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري، يلزمنا بأن نورد ترجمة كاملة له باعتباره مؤسس المذهب، وبمعرفة مؤسس المذهب فإنه يمكننا معرفة تاريخ نشأته كعلاقة تلازمية بين المؤسس ومذهبه، أما أبو الحسن الأشعري، فقد تناولت كتب الطبقات والتراجم باستفاضة، فمن ذلك ترجمة الذهبي له بقوله: "الأشعري علي بن إسماعيل بن إسحاق: العلاَّمة، إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي عبد الله قيس بن حضَّار الأشعري، اليماني، البصري

مولده: سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين

وأخذ عن: أبي خليفة الجُمحي، وأبي علي الجبائي، وزكريا الساجي، وسهل بن نوح، وطبقتهم، يروي عنهم بالإسناد في تفسيره كثيراً، وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم.

ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم.

مات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مائة، حطَّ عليه جماعة من الحنابلة والعلماء"[2].

ويذكر ابن عساكر: أن أبا الحسن الأشعري كان على الاعتزال لمدة أربعين سنة، ثم غاب عن الناس خمسة عشر يوماً فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر

(1) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، ط2، 1413هـ، ج03، ص365

(2) شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص–ص: 85–86

الناس إني تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم ترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فمنها: كتاب "اللمع"، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب "كشف الأسرار وهتك الأستار" وغيرهما، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إماماً"[1].

يظهر من خلال ترجمة الذهبي وما ذكره ابن عساكر أن نشأة المذهب الأشعري كانت في حدود سنة 300 هـ أو بعدها بقليل إذا أخذنا بالقول الأول وأنه ولد سنة 260هـ، أو في حدود سنة 310هـ إذا أخذنا بالقول الثاني وأنه ولد سنة 270هـ، ودون هذين الاعتبارين فإنه وعلى وجه العموم كان تأسيس مذهب الأشاعرة في الربع الأول من القرن الرابع الهجري، أي قبل وفاة أبي الحسن الأشعري سنة 324هـ.

مؤلفاته:

"كتاب "العُمد في الرؤية"، كتاب "الفصول في الرد على الملحدين"، كتاب "الموجز"، كتاب "خلق الأعمال"، كتاب "الصفات"، كتاب "الرؤية بالأبصار"، كتاب "الخاص والعام"، كتاب "الرد على المجسمة"، كتاب "إيضاح البرهان"، كتاب "اللمع في الرد على أهل البدع"، كتاب "الشرح والتفصيل"، كتاب "النقض على الجبائي"، كتاب "النقض على البلخي"، كتاب "جمل مقالات الملحدين"، كتاب في "الرد على ابن الروندي"، كتاب "القمع في الرد على الخالدي"، كتاب "أدب الجدل"، كتاب "جواب الخراسانية"، كتاب "جواب السيرافيين"، كتاب "جواب الجرجانيين"، كتاب "المسائل المنثورة البغدادية"، كتاب "فنون الرد على الملحدين"، كتاب

(1) علي بن الحسن بن هبة الله، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي – بيروت –، ط3، 1404هـ، ص39

"النوادر في دقائق الكلام"، كتاب "تفسير القرآن"[1]، كتاب "الإبانة عن أصول الديانة"[2]، والعديد من الكتب الأخرى.

المطلب الثالث: أصول عقيدة الأشاعرة

- **القول في الأسماء والصفات**

الحديث عن باب الأسماء والصفات عند الأشاعرة هو حديث عن الباب الذي أخذ أكبر حيّز من الكلام عندهم، وقد تشعبت تفصيلاته وشروحاته، والقصد بذلك التوضيح والشرح والبيان، فنجد الفرق مثلا في تصنيف الصفات وتقسيماتها، فمنهم من قسموها إلى قسمين، بينما هناك من يقسمونها إلى ثلاثة أقسام، وكل هذا داخل في باب التبسيط.

فمن الذين قسَّموا الصفات إلى قسمين الشهرستاني، فهو يرى أن "صفات الله – تبارك وتعالى –على نوعين، منها: ما يُعلم من طريق الأفعال ودلائلها عليها، وهي كالحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، ومنها: ما يُثْبت له لانتفاء صفات النقص عن ذاته، وذلك كالسمع، والبصر، والكلام، والبقاء"[3]، وهو كذلك رأي الجويني قبله، فهو يقرر أن "جميع أسماء الرب سبحانه تنقسم إلى ما يدل على الذات، أو يدل على الصفات القديمة، وإلى ما يدل على الأفعال، أو يدل على النفي فيما يتقدس الباري سبحانه عنه"[4]، ويقول كذلك – أي الجويني –: "فهذا، رحمكم الله، كافٍ بالغ في إثبات العلوم بالصفات الواجبة المنقسمة إلى النفسية والمعنوية"[5]. يقول البيهقي: "ثم صفات الله عز اسمه قسمان:

أحدهما: صفات ذاته وهي ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال.

---

(1) شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص–ص: 87–88

(2) علي بن الحسن بن هبة الله، المصدر السابق، ص152

(3) محمد بن الحسن بن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تح: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 1427هـ/2006م، ص40

(4) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تح: محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي، د ر ط، 1369هـ/1950م، ص144

(5) نفسه، ص164

والآخر: صفات فعله وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، فلا يجوز وصفه إلا بما دل عليه كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله أو أجمع عليه سلف هذه الأمة، ثم ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك من صفات ذاته، وكالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعفو والعقوبة، ونحو ذلك من صفات فعله"[1].

أما الصنف الثاني فهم من رأى تقسيم الصفات إلى ثلاثة أقسام، وهو الذي ذهب إليه عبد القاهر البغدادي بقوله: "أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام: قسم منها يستحقه لذاته كوصفه بأنه شيء وموجود وذات وغني ونحو ذلك، وقسم منها يستحقه لمعنى قام به كالحي والعالم والقادر والمريد والمتكلم والسميع والبصير، وقسم يستحقه لفعل من أفعاله كالخاق والغافر ونحو ذلك"[2]، ومنهم كذلك ابن خُمير السبتي: "اعلم أن صفات الباري – تعالى – تنقسم إلى ثلاثة أقسام: نفسية ومعنوية وفعلية"[3]

هذا بخصوص الاختلاف العلمي في تقسيم الصفات، وهو كما أسلفنا تقسيم توضيحي يشبه إلى حد ما تقسيم القرآن الكريم إلى طوال ومئين وقِصار السور، أما عن أقسام الصفات على نحو التفصيل فهي كالتالي:

- **الصفات النفسية:** "ومعنى الصفة النفسية أنها صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، ولا توجد إلا صفة نفسية واحدة هي صفة الوجود"[4].
- **صفات المعاني:** وسميت كذلك لأن كل واحدة منها عبارة عن معنى قائم بذاته تعالى، وهذه الصفات هي[5]:
  - **الحياة:** وهي صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة.

(1) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة –، ط1، 1413هـ/1993م، مج01، ص276

(2) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، أصول الدين، مدرسة الإلهيات – إسطنبول –، ط1، 1346هـ/1928م، ص–ص: 122–123

(3) ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد إلى علم العقائد، تح: جمال علال البختي، مطبعة الخليج العربي – الرياض –، ط1، 1425هـ/2004م، ص184

(4) عبد القادر محمد الحسين، الزبدة الهنية في شرح الخريدة البهية، دار البيروتي، ط1، 1439هـ/2018م، ص40

(5) سعيد عبد اللطيف فودة، حاشية شرح الخريدة، دار النور المبين للدراسات والنشر، ط1، 1434هـ/2013م، ص–ص: 26–27

- **العلم:** وهي صفة أزلية تنكشف بها الموجودات والمعدومات على ماهي عليه انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه، وعلمه تعالى محيط بالأشياء كلها واجبها وجائزها ومستحيلها.
- **القدرة:** وهي صفة أزلية يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه.
- **الإرادة:** وهي صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم ومقدار وزمان ومكان وجهة، وكل شيء موجود من الأعيان والأعراض فقد أراد الله وقوعه، فلا يقع في ملكه إلا ما يريد، سواء كان هذا الموجود مأموراً به أو منهياً عنه، وعلى هذا فالإرادة غير الأمر.
- **الكلام:** وهو صفة أزلية نفسية ليست بحرف ولا صوت، وتدل على جميع المعلومات.
- **السمع والبصر:** وهما صفتان أزليتان ينكشف بهما جميع الموجودات انكشافاً تاماً، والانكشاف بها يغاير الانكشاف بالعلم كما أن الانكشاف بإحداهما يغاير الانكشاف بالأخرى.

وهذه الصفات كذلك تسمى بصفات الذات وقد نظمها إبراهيم اللقاني المالكي (ت 1041هـ) في متن جوهرة التوحيد:

وقـــــــــدرة إرادة وغـــــايرت أمراً وعلماً والرضا كـــــما ثبت

وعـ ــلمه لا يقـ ــال مكـ ــتسب فاتبع ســبيل الحق واحرح الريب

حياته كـــــذا الكلام الســــــمع ثم البـ ــصر بـ ــ ــذا أتانا السمع

فهل له إدراك أو لا خُــلف وعــند قــوم صح فـــيه الوقف

حـ ــ ــي عليم قادر مـ ــ ــريد سمـ ــع بصـ ــير ما يشا يـ ــريد

متكلم ثـ ــم صـ ــ ــفات الذات ليس بغــير أو بعــين الــذات[1]

وصفات الذات هي زائدة على الذات، أي أنها ليست عين الذات، كما قال الصاوي (ت 1241 هــ) في شرحه لجوهرة التوحيد: "فعلم أن مذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها، قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفكاك، فهي دائمة الوجود مستحيلة العدم، فهو حي بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، وهكذا"[2].

- **الصفات السلبية:** "وهي التي يكون مدلولها سلباً لأضدادها فالوحدانية تنفي الشريك، والقدم ينفي الحدوث، والبقاء ينفي الزوال، والقيام بالنفس ينفي القيام بالغير أو الحاجة إلى الغير والمخالفة للحوادث تنفي المشابهة"[3]، وهذه الصفات هي[4]:
  - **القدم الذاتي:** بمعنى أنه تعالى قديم لذاته، لا لعلة أوجبت وجوده.
  - **البقاء:** وهو سلب الآخرية، فالله سبحانه وتعالى لا آخر لوجوده.
  - **القيام بالنفس:** وهو عدم الافتقار إلى محل يقوم به وعدم الافتقار إلى موجِد.
  - **المخالفة للحوادث:** بمعنى عدم موافقته لشيء من الحوادث من حيث حدوثه.
  - **الوحدانية:** وهي سلب الكثرة في الذات والصفات والأفعال.

فواجب له الـ ــوجود والقدم كذا بقـــــاء لا يُشاب بالعدم

وأنــه لما يـــنال العـــدم مخالف برهان هذا القـــــدم

قيـــامه بالنــفس وحــدانية منزها أوصـ ــافه سنـ ــ ــية

عن ضد أو شبه شريكاً مطلقا ووالد كذا الولد والأصـــدقا[5]

(1) برهان الدين إبراهيم اللقاني، عمدة المريد لجوهرة التوحيد، تح: بشير برهان، دار الكتب العلمية، د ر ط، د س ط، ص30

(2) أحمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، تح: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير – دمشق –، ط2، 1419هـ/1999م، ص195

(3) عبد القادر محمد الحسين، المرجع السابق، ص41

(4) سعيد عبد اللطيف فودة، المرجع السابق، ص–ص: 81–86

(5) برهان الدين إبراهيم اللقاني، المصدر السابق، ص30

- **القول في القرآن الكريم**

أما عقيدة الأشاعرة في القرآن الكريم، فقد سلكوا فيها مسلك أهل الحديث، ذلك أن الأشاعرة يقولون أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق، فبالإضافة إلى أقوال كبار المذهب في هذا الباب، نجد تلك الردود على المعتزلة في قولهم بخلق القرآن، كرد الباقلاني (ت 402هـ): والذي يدل على نفي خلق القرآن من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:40]، فلو كان القرآن مخلوقاً، لكان مخلوقاً بقول آخر، وذلك يوجب أن لا يوجد من الله تعالى فعل أصلا، إذ كان لابد أن يوجد قبله أفعال هي أقاويل لا غاية لها، وذلك باتفاق منَّا ومنهم، دليل آخر: وهو أنه لوكان القرآن مخلوقاً، لكان لا يخلو أن يكون جسماً قائماً بنفسه أو عرضاً مفعولاً في غيره"[1].

يقول عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ): "ونقول كلام الله في المصحف مكتوب وفي القلب محفوظ وباللسان متلو، ولا نقول على الإطلاق أن كلام الله سبحانه في محل ولكن نقول على التقييد أنه مكتوب في المصاحف، ونقول أن نظم القرآن معجز"[2]، ويقول إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت 478هـ): "قد ثبت كون الباري تعالى متكلماً بكلام، والعقول تقضي باختصاص كلامه به من وجه من الوجوه، ولا حاجة لتكلف إثبات ذلك بالدليل"[3]، ويقول أيضاً: "كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، وليس حالاًّ في مصحف، ولا قائماً بقلب، ولكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب، وقد يعبر بها عن الحروف المرسومة، والأسطر المرقومة، وكلها حوادث"[4].

- **القول في الإيمان:**

الإيمان عند جمهور الأشاعرة يأتي بمعنى التصديق، يقول أبو الحسن الأشعري: "الإيمان هو التصديق لله ولرسله في أخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحاً إلا بمعرفته، والكفرعنده

(1) أبوبكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1407هـ/1987م، ص268

(2) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، المصدر السابق (أصول الدين)، ص108

(3) أبو المعالي الجويني، المصدر السابق (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد)، ص117

(4) نفسه، ص132

هو التكذيب"[1]، ويقول الأيجي: "فهو عندنا – أي الإيمان– وعليه أكثر الأئمة التصديق للرسول فيما عُلم مجيئه به ضرورة، فتفصيلاً فيما عُلم تفصيلاً، وإجمالاً فيما عُلم إجمالاً"[2]، وقول الجويني: "والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى، فالمؤمن بالله من صدقه [...]، ثم الغرض من هذا الفصل (يقصد الفصل المعنون بـــ "الإيمان" في كتابه)، أن من مذهب أهل الحق وصف الفاسق بكونه مؤمناً، والدليل على تسميته مؤمناً من حيث اللغة أنه مصدق على التحقيق، وآية ذلك في الشرع أن الأحكام الشرعية، المقيدة بخطاب المؤمنين تتوجه على الفسقة توجهها على الأتقياء إجماعاً"[3].

يقول أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير (ت 520 هـــ) في منظومته "التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد":

اعلم بأن الحق في الإيمان تصديقنا بالقـــــلب واللسان
وربما ورد فـــي الأعمال على التجوز في الاستعمال

وجاء في شرح هذين البيتين: قال المرادي[4]: وقد تسمى شرائع الإيمان إيماناً مجازاً واتساعاً، والدليل على أنها ليست بإيمان في الحقيقة قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: 277]، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: 97]، ففصل بين الإيمان والعمل"[5]، وجاء نفس المعنى في شرح الصاوي على جوهرة

(1) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، المصدر السابق (أصول الدين)، ص248

(2) عبد الرحمن بن أحمد الأيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب – بيروت –، د ر ط، د س ط، ص384

(3) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، المصدر السابق (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد)، ص398

(4) المرادي: ترجم له ابن بشكوال بقوله: قدم الأندلس وأخذ عنه أهلها، روى عنه أبو الحسن المقرء وقال: كان رجلاً نبيهاً، عالماً بالفقه، وإماماً في أصول الدين وله في ذلك تواليف حسان مفيدة، وكان مع ذلك ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة، وقال: توفي بالصحراء ولا أعرف تاريخ وفاته. (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1374هـــ/1955م، ص572)

(5) أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، تح: سمير قوبيع وزميليه، دار أبي رقراق، ط1، 1435هـــ/2014م، ص183

التوحيد: "والإيمان لغة: مطلق التصديق، واصطلاحاً: تصديق النبي فيما جاء به مما عُلم من الدين ضرورة: كالصلاة والصيام والزكاة والحج"[1].

وقضية تعريف هي من المسائل التي خالف فيها الأشاعرة المعتزلة وأهل الحديث، واختلفوا كذلك في أمرين:

الأمر الأول: أن العمل لا يدخل في الإيمان كما أسلفنا الذكر حينما نقلنا قول المرادي.

الأمر الثاني: مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، فهو عند الأشاعرة على قول واحد في أنه لا ينقص، واختلفوا في زيادته، يقول البغدادي: "وأما من قال أنه – أي الإيمان – التصديق بالقلب فقد منعوا من النقصان فيه، واختلفوا في زيادته: فمنهم من منعها ومنهم من أجازها"[2].

- **القول في القدر**

سلك الأشاعرة مسلك أهل الحديث في باب القدر، فقالوا أن جميع أفعال العباد إنما هي من الله تبارك وتعالى وبإرادته، يقول إمام الحرمين الجويني: "فمذهبنا أن كل حادث مراد لله تعالى حدوثه، ولا يختص تعلق مشيئة الباري بصنف من الحوادث دون صنف، بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث خيرها وشرها، نفعها وضرها"[3]، فأفعال العبادة مقدرة بتقدير الله، ومخلوقة بقدرته وبالتالي تصبح مكتسبة على قول الإمام عبد القاهر البغدادي: "واختلفوا في أكساب العباد وأعمال الحيوانات على ثلاثة مذهب: أحدها قول أهل السنة أن الله ﷻ خالقها كما أنه خالق الأجسام والألوان والطعوم والروايح، لا خالق غيره وإنما العباد مكتسبون لأعمالهم"[4].

وعلى هذا الاعتبار يصبح كل فعل صادر عن الإنسان مقدراً سلفاً، لا دخل للإرادة الإنسانية فيه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فيكون على إثر ذلك التسليم لمقادير الله

(1) أحمد بن محمد المالكي الصاوي، المصدر السابق، ص130

(2) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، المصدر السابق (أصول الدين)، ص252

(3) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، المصدر السابق، ص237

(4) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، المصدر السابق (أصول الدين)، ص134

دون اعتراض، وقد ذكر هذا المعنى أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير في منظومته التي جاء فيها:

وكل شيء بقضاء وقدر كما به أتى الكتاب والخبر
فوجب التسليم للقضاء والصبر في البأساء والضراء
والحمد والشكر على النعماء والكون بين الخوف والرجاء
والكره للآثام والشرور والحب للتوفيق في الأمور[1]

المبحث الرابع: الإباضية

المطلب الأول: مفهوم الإباضية

الحديث عن الإباضية، يعني الحديث عن أحد المذاهب الإسلامية، ولعل ميزة هذا المذهب كما هو الحال في المذهب الشيعي والظاهري أنه مذهب عقائدي وفقهي في نفس الوقت، فهو مدرسة فقهية من جهة ومدرسة عقائدية من جهة أخرى، لا كالمذاهب التي سبق ذكرها في بحثنا هذا، والتي قد تشترك في المذهب الفقهي وتختلف في مذهبها العقائدي.

وبالحديث عن مذهب الإباضية، فإن مفهومه الاصطلاحي من السهولة بمكان، فهو ينسب إلى مؤسسه، يقول "أحمد بن محمد المالكي الصاوي": "ظهر المذهب الإباضي في القرن الأول من الهجرة، فهو أقدم المذاهب الإسلامية على الإطلاق إذ أن إمامه المنسوب إليه عبد الله بن إباض التميمي هو من التابعين المعاصرين لعبد الملك بن مروان موطد الملك الأموي المشهور"[2].

ويقول "رجب محمد عبد الحليم" في كتابه "الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة": "أما عن نشأة المذهب الإباضي، فمن المعروف أن هذا المذهب من المذاهب الإسلامية الهامة التي سبقت في النشأة غيرها من المذاهب الأخرى سنية أو شيعية، كما أنه لم يُعرف بهذا الاسم في المصادر الإباضية إلا في الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة، وقد قبل الإباضية بهذا الاسم منذ ذلك التاريخ لأنه غلب عليهم بمرور الزمن،

(1) أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير، المصدر السابق، ص178

(2) سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الاستقامة، د ر ط، 1357هـ/1938م، ص17

وصار علماً يلتفون حوله، ولم يجدوا فيه ما يحط من قدرهم أو ينال من كرامتهم، وإنما كانوا يطلقون على أنفسهم قبل ذلك اسم جماعة المسلمين، أو أهل الدعوة، أو أهل الاستقامة"[1].

المطلب الثاني: التاريخ العام للإباضية

لا شك أن التاريخ العام للمذهب الإباضي يرتبط ارتباطا وثيقاً بحياة مؤسسه، ومتى ما عرفنا الفترة التي عاش فيها أمكننا حينئذ أن نستنتج تاريخ نشأته، هذا الارتباط بين المذهب ومؤسسه المنسوب إليه حملنا على نقل ترجمة عبد الله بن إبباض باعتبار أن تأسيس المذهب مرتبط به، وقد نقل لنا خير الدين الزركلي ترجمة وافية له جمعت كل ما تضمنته كتاب السير والتراجم حول هذا الرجل، وتجنباً للإطناب نقلنا ما يهمنا من سيرته في البحث، ونقلنا من ترجمة الزركلي له الترجمة التالية:

"**عبد الله بن إباض المقاعسي المري التميمي (...– 86هـ):** من بني مرة بن عبيد بن مقاعس، رأس الإباضية، وإليه نسبتهم، اضطرب المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته، وكان معاصرا لمعاوية، إلى أواخر أيام عبد الملك بن مروان، عدَّه الشماخي في التابعين وقال: كان على ما حفظت ممن خرج إلى مكة لمنع حرم الله من مسلم (بن عقبة المري) عامل يزيد بن معاوية، وكان كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان، وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن يزيد، وعدَّه محمد بن زكريا الباروني في مقدمة أبناء النصف الثاني من المئة الأولى للهجرة، بعد جابر بن زيد، وقال القلهاتي وهو من مؤرخي الإباضية كالشماخي والباروني: نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان وكتب إليه بالسيرة المشهورة، وأراد بالسيرة رسالة بعث بها عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان"[2].

يُلاحظ من خلال ترجمة الزركلي له أن عبد الله بن إباض لم يخرج عن دائرة القرن الأول للهجرة، بل لقد عاصر الصحابة، وقد عدَّه البعض كما نقلنا في ترجمته من التابعين،

(1) رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، مسقط، د ر ط، 1410هـ/1990م، ص–ص: 12–13

(2) خير الدين الزركلي، االمرجع السابق، ج4، ص–ص: 61–62

وعلى هذا الاعتبار يمكننا أن نجزم أن نشأة المذهب الإباضي كانت خلال القرن الأول من الهجرة، هذا على اعتبار أن عبد الله بن إباض قد قرر فعلاً إنشاء مذهب يُنسب إليه.

المطلب الثالث: أصول الإباضية

- **القول في الإيمان**

اختلفت الإباضية في معنى الإيمان على قولين، بين قائل بأن الإيمان هو التصديق فقط، وقائل بأن الإيمان هو تصديق وقول وعمل، يقول امحمد بن يوسف اطفيش (1228 – 1332هـ): "وقال قومنا: الإيمان التصديق بالقلب فقط ويؤولون تسمية سائر الأعمال الصالحة إيماناً بأنها سميت به لأنه سببها"[1]، هذا بالنسبة للقول الأول، ومن أصحاب القول الثاني نذكر "هود بن محكِّم (ق03 هـ)" فقد كان يقرن الإيمان بالعمل في كل تفسير آية من القرآن تشير إلى الموضوع، حتى قال عنه محقق تفسيره الشيخ شريفي: "إن الشيخ الهواري لا يفتأ يؤكد في كل مناسبة على أن الإيمان بالقول وحده لا يكفي، بل لابد من العمل الذي يحققه ويتم به"، فالإيمان عنده هو التصديق بالقلب، والقول، والعمل"[2]، ومنهم كذلك أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت 928 هـ) وأبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي (ت 967 هـ): "الإيمان على وجهين: توحيد، وغير توحيد، والتوحيد على وجهين: قول وعمل، لا يسع جهل التوحيد ولا تركه ولا يسع جهل الشرك ولا فعله".

جاء في شرح هذا:

"قوله: (والتوحيد): إعلم أن التوحيد معرفة الله، والشرك جهله، وهو مصدر وحدت، أي وصفه بالوحدانية والفردانية، والموحَد هو الله وحد نفسه ووحده المؤمنون، وهو من أفعال القلب، واللسان يبينه"[3].

---

(1) امحمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، تح: مصطفى بن ناصر وينتن، جمعية التراث – غرداية –، ط1، 1422هـ/2001م، ص471

(2) ابن ادريسو مصطفى بن محمد، الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعية التراث – الجزائر–، د ر ط، 1424هـ/2003م، ص395

(3) أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي وداود بن إبراهيم التلاتي، مقدمة التوحيد وشروحها، تح: إبراهيم اطفيش، دار الحكمة –لندن–، ط2، 1436هـ/2016م، ص131

ومن الإباضيين المعاصرين الذين يقررون هذا المفهوم للإيمان عند الإباضية نجد مصطفى اطفيش الذي يقول: "والإيمان التصديق في اللغة، وكذلك عندنا في الشرع: التصديق في القلب بما جاء به الرسول ﷺ والإقرار والعمل، وكل طاعة إيمان نفلاً أو فرضاً"[1].

- **القول في الأسماء والصفات**

تبين خلال البحث في المذهب الإباضي في باب الأسماء والصفات أن الإجماع منعقد عندهم بأن صفات الله تبارك وتعالى هي عبن ذاته لا غيرها، وهذا الذي يتضح بجلاء في أقوال متقدميهم، يقول يوسف إبراهيم الورجلاني[2]: "إن صفات الباري سبحانه ليس هناك معنى غيره، أو شيء يلازمه أو يفارقه"[3]، ويقول أيضاً: "فإن بعض أصحابنا يطلقون على صفات الله أن تقول: هي هو، فتقول: علم الله هو الله لا غيره، وقدرة الله هي الله لا غيره"[4]، "فأثبتنا حياً عالماً قادراً مريداً راضياً ساخطاً لم يزل، إذ لو حدثت الحياة لكان قبلها ميتاً، ولو حدث العلم لكان قبله جاهلاً، ولو حدثت القدرة لكان قبلها عاجزاً، ولو حدثت الإرادة لكان قبلها مستكرهاً، ولو حدث الرضى والسخط لكان قبلهما جامداً بليداً"[5].

ويقول الثميني: "اشتهر الخلاف في أن صفاته تعالى عين ذاته أو زائدة عليها، فذهب أصحابنا (يقصد الإباضية) والمعتزلة والحكماء ومن حذا حذوهم إلى الأول"[6]، أي إلى القول بأنها عين الذات، وإلى قول الثميني ذهب الباحث امحمد بن يوسف اطفيش في قوله:

---

(1) امحمد بن يوسف اطفيش، المرجع السابق، ص540

(2) **يوسف إبراهيم الورجلاني:** أبو يعقوب بن إبراهيم السدراتي الإباضي الوارجلاني أحد الأقطاب الكبار والعلماء المجتهدين الأحرار، أخذ العلم من شيوخه بسدراتة من ورقلة بجنوب الجزائر على الغرب من وادي ميزاب [...]، وله مؤلفات عديدة منها تفسير القرآن العظيم، ومنها كتاب "العدل والإنصاف" في أصول الفقه، ومنها كتاب "مرج البحرين" في علم الفلسفة، ومنها ترتيبه لمسند الربيع بن حبيب، توفي رحمه الله عام سبعون 570 هـ.(يوسف إبراهيم الورجلاني، الدليل والبرهان، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة – سلطنة عمان –، ط2، 1427هـ/2006م، ج01، ص–ص: 09–11)

(3) يوسف إبراهيم الورجلاني، المصدر السابق، ج01، ص65

(4) نفسه، ص69

(5) نفسه، ص71

(6) عبد العزيز بن إبراهيم الثميني، معالم الدين، وزارة التراث القومي والثقافة، د ر ط، 1407هـ/1986م، ج01، ص216

"وليس منَّا من قال إن أسماء الله مخلوقة بل قديمة، فإنه – تعالى – أهل لمعانيها بلا أول، وأهل لأن يذكر بلفظ الجلالة ولفظ عزيز ولفظ مريد ولفظ قادر وعالم وحي ومتكلم وفرد وسميع وبصير وخالق وفعَّال ورزاق، وغير ذلك من أسماء الصفات والأفعال، فإنها كلها له قبل أن يخلق من يتلفظ بها"[1].

- **القول في القرآن الكريم**

حذا الإباضية في قولهم في القرآن الكريم حذو إجماعهم في باب الأسماء والصفات، فقد أجمع الإباضية على القول بخلق القرآن الكريم، ولم نقف خلال البحث على من يقول منهم بخلاف ذلك، يقول الورجلاني: "فإن أبوا من خلق القرآن أبينا لهم من خلقهم، وقد وصفه الله ﷻ في كتابه ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:03]، مجعولاً مسموعاً بالآذان، مقروءاً بالألسن، مكتوباًفي المصاحف وفي قلوب الذين أوتوا العلم"[2]، وقول تبغورين بن داوود الملشوطي[3]: "إن القرآن كما وصفه الله بأنه مجعول ومنزول ومحدث ومخلوق، ومعنى الجعل من الله، والخلق، والحدث واحد"[4]، ويقول أبي عمار عبد الكافي: "ومثل هذا في كتاب الله ﷻ من التمثيل والتشبيه للقرآن بغيره من الخلق مما يوجب أن القرآن داخل في جملة الخلق، غير خارج منها، فيجب عليكم أن تقضوا على القرآن بأنه خلق، كما قضيتم على سائره مما خلقنا، وما لم نذكره، بأنه خلق"[5].

---

(1) امحمد بن يوسف اطفيش، المرجع السابق، ص564

(2) يوسف إبراهيم الورجلاني، المصدر السابق، ج01، ص72

(3) **تبغورين بن داوود الملشوطي:** تبغورين بن عيسى بن داوود الملشوطي، نسبة إلى بلدة يقال لها ملشوطة، وهو من علماء القرن الخامس الهجري، أخذ العلم عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وعن الشيخ عبد الله اللنتي، وكان من معاصري الشيخ أبي العباس محمد بن بكر من علماء الطبقة العاشرة (450 – 500 هـ) حسب الدرجيني والشماخي. (تبغورين بن داوود الملشوطي، الأصول العشرة عند الإباضية، تح: ونيس الطاهر عامر، مكتبة الجيل الواعد، ط1، 1426هـ/2005م، ص-ص: 10-11)

(4) تبغورين بن داوود الملشوطي، الأصول العشرة عند الإباضية، تح: ونيس الطاهر عامر، مكتبة الجيل الواعد، ط1، 1426هـ/2005م، ص190

(5) أبو عمار عبد الكافي، الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، تح: عمار الطالبي، موفم للنشر – الجزائر –، د ر ط، 2013م، ج02، ص136

هذا الإجماع الذي عند الإباضية من القول بخلق القرآن يؤكده مرة أخرى امحمد بن يوسف اطفيش"وليس منَّا من قال إن القرآن ليس بمخلوق وأنه القديم وأنه الكلام النفسي، وأن هذه الألفاظ المكتوبة الحروف المجزأة المفصَّلة كلمات وآيات وسوراً ونحو ذلك، المتصفة بالعربية والتلاوة والإنزال والإحداث والجعل وسائر لوازم الحدوث ترجمة القرآن لا نفس القرآن، كما أن لفظ الجلالة ترجمة عن الذات الواجب"[1].

- **القول في القضاء والقدر**

بخصوص مسألة القدر عند الإباضية، فهي على ما علمنا من خلال البحث، فالرأي الأول هو نسبة الإرادة إلى الله تبارك وتعالى، أي أن كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال وأقوال هي بإرادة الله لا دخل لإرادة العبد فيها، يقول تبغورين بن داوود الملشوطي: من أخرج شيئاً من ملكه – أي من ملك الله ﷻ– وقدرته لم يصفه بحقيقة صفته بل وصفه بالعجز والحاجة، كما أن من أخرج شيئاً من إرادته ومشيئته فقد وصفه بالكره والذِّلة، كما أنه من أخرج شيئاً من علمه وإحاطته فقد وصفه بالجهل عندنا وعندهم"[2].

أما الرأي الثاني فهو نسبة الأفعال إلى الإنسان مع علم الله الأزلي بها، وقد جمع ما يدور في فلك هذا القول صاحب كتاب " الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري" بقوله: "أغلب علماء الإباضية يركنون إلى نسبة الفعل الإنساني وتصرفاته إلى علم الله الأزلي دون تفصيل أكثر للمسألة، وهذه أقوالهم التي تمكنَّا من جمعها:

- دعا جابر بن زيد بدعاء ذكرفيه أن علم الله الأزلي محيط بمصير العباد فقال: «أن يغفر لنا ولك الذي قد سلف مما أسخطناه فيه، وما سبق في علمه في الذي نحن مصيبوه»، واعتبر كذلك منتهى (أي: مصير) العباد إلى ما خلقوا له، أي: إن مصيرهم يرجع إلى ما قرر الله في الأزل.
- حينما كان يردُّ صحار العبدي على القدرية الذين ينسيون الفعل إلى العبد استدل بعلم الله الأزلي، فقال لأتباعه الإباضية الذين كانوا يواجهون القدرية: «كلهم في العلم (أي علم الله) فإن أقروا به نقضوا أقوالهم، وإن أنكروه كفروا»، فصحار يعتبر الإيمان بعلم الله

(1) امحمد بن يوسف اطفيش، المرجع السابق، ص552

(2) تبغورين بن داوود الملشوطي، المصدر السابق، ص98

الأزلي حجة على من لا ينسب الفعل إلى الله، ذلك لأن إثبات صفة العلم الإلهي يعني الإقرار بعلم الله السابق على فعل العبد، وأما إنكار العلم فيعد إنكاراً لصفة من صفات الله الذاتية، وهذا النكران يعني اتصافه تعالى بضدها وهو عين الكفر"[1].

- يقر الإمام أبو عبيدة أن لا جبر في أفعال العباد، وأن العلم الإلهي لا يعني قهر أحد، وإنما اختيار الإنسان لفعله السيء اتباعاً لهواه هو الذي دفع به إلى المعصية، بينما علم الله الأزلي لا يفيد أكثر من كون الله عالما بما يختاره عباده من طاعة أو معصية"[2].

المبحث الخامس: الشيعة

المطلب الأول: مفهوم الشيعة

بغض النظر عن المفهوم اللغوي للشيعة الذي يعني الأنصار أو الأتباع، والذي لا يهمنا كثيراً في هذا الموضع بقدر ما يهمنا المعنى الاصطلاحي لمفهوم الشيعة، هذا المفهوم الذي يأتي في دائرة الإسلام مقابلاً للسنة أو أهل السنة والجماعة، فالتشيع والشيعة هو المعنى المقابل للسنة، أما عن مفهومه الاصطلاحي الأدق، فقد أخذت خلال البحث بتعريفين جامعين، أولهما للشهرستاني والثاني لابن حزم الأندلسي.

يعرف الشهرستاني الشيعة بقوله: "الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً، وفعلاً، وعقداً، إلا في حال التقية"[3].

(1) ابن ادريسو مصطفى بن محمد، المرجع السابق، ص-ص: 368-369

(2) نفسه، ص375

(3) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص169

وغير بعيد عما ذكره الشهرستاني في تعريفه للشيعة، نجد أن تعريف ابن حزم لهم قد أخذ ذات المعنى، وذلك لما قال: "ومن وافق الشيعة في أن علياً ﷺ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً"[1]

المطلب الثاني: التاريخ العام للشيعة

في مسألة تاريخ نشأة وظهور الشيعة نجد تبايناً واضحاً بين ما ذكرته المصادر الشيعية والمصادر السنية، الأمر الذي اقتضى أن ننقل كلام الطرفين في هذا المسألة، مسألة نشأة مذهب الشيعة.

رأي الشيعة:

يرى الشيعة المتقدمين منهم والمتأخرين أن التشيع قد ظهر منذ فجر الإسلام، ومنذ مبعث النبي ﷺ، وهذا الذي تقرره أمهات كتبهم بالنص الصريح، ولا أدل على ذلك من الروايات التي نقلها الكليني[2] في كتابه أصول الكافي الذي يعتبر عمدة الكتب عند الشيعة، فمما ذكره الكليني الرواية التالية: "علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حمَّاد بن عثمان، عن عيسى بن السَّري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملي ولم يضرني جهل ما جهلت بعده، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحقٌ في الأموال من

(1) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص–ص: 89–90

(2) **محمد بن يعقوب الكليني:** جاء في ترجمته عند ابن عساكر ما نصه: هو أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي من فقهاء الشيعة المصنفين في مذهبهم روى عنه أبو عبد الله أحمد ابن إبراهيم الصيمري وغيره وكان ينزل بباب الكوفة في درب السلسلة ببغداد وتوفي فيها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ودفن بباب الكوفة في مقبرتها قال الأمير بن ماكولا ورأيت أنا قبره بالقرب من صراة الطائي عليه لوح مكتوب فيه هذا قبر محمد بن يعقوب الرازي الكليني الفقيه (ابن عساكر، المصدر السابق، ج53، ص298)، وترجم له كذلك الذهبي، قال عنه: شيخ الشيعة وعالم الإمامية، صاحب التصانيف، أبو جعفر بن يعقوب الرازي الكليني، روى عنه: أحمد ابن إبراهيم الصَّميري وغيره، وكان ببغداد وبها توفي وقبره مشهور، مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مائة (الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص280)

الزكاة، والولاية التي أمر الله ﷻ بها: ولاية آل محمد ﷺ، فإن رسول الله ﷺ قال: من مات ولا يعرف إمامة مات ميتة جاهلية"[1].

فهذا النص الوارد عند الكليني في الكافي ينص صراحة على أن الولاية لآل البيت جزء من الدين، وكونها جزء من الدين يعني ذلك أن التشيع لعلي ﷺ على وجه الخصوص وآل البيت عموماً قد كان منذ بعثة النبي ﷺ، والكلام الذي ذكرناه وما تعلق برواية الكليني هاته وما على شاكلتها من الروايات ليس استنتاجا فحسب، بل هو عين ما يقرره متأخري المذهب الشيعي، ومن أمثلة ذلك ما ذكره محمد الحسين آل كاشف في كتابه "أصل الشيعة وأصولها" في قوله: "إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو صاحب الشريعة نفسه، يعني أن بذرة التشيع وُضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب، سواءً بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته"[2].

وتأييداً لما قاله محمد الحسين آل كاشف نجد مثل قوله عند محمد حسين المظفري في كتابه "تاريخ الشيعة" إذ يقول: "لا غرو لو قلنا أن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه وآله صارخاً بكلمة "لا إله إلا الله" في شعاب مكة وجبالها، فإنه لما نزل عليه قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: 114]، وجمع النبي ﷺ بني هاشم وأنذرهم قال ﷺ أيكم يوازرني ليكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي، فلما لم يجبه إلى ما أراد غير المرتضي قال لهم الرسول ﷺ هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا"[3].

ويستدلون على هذا القول ببعض الأدلة منها "ما رواه السيوطي في كتاب الدر المنثور في تفسير كتاب الله المأثور" في تفسير قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة: 07] قال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي عليه السلام فقال النبي: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة،

(1) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، دار المرتضى – بيروت –، ط1، 1426هـ/2005م، ص–ص: 436–437

(2) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، دار الأضواء – بيروت –، ط1، 1410هـ/1990م، ص118

(3) محمد حسين المظفري، تاريخ الشيعة، مكتبة بصيرتي، د ر ط، د س ط، ص–ص: 08–09

ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة: 07]، وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت قال رسول الله لعلي هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، وأخرج ابن مردويه عن عليه قال: قال لي رسول الله ﷺ ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة: 07]، هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرَّاً محجلين"[1]

كان هذا بإيجاز ما ذهبت إليه الشيعة متقدموها ومتأخروها على السواء.

رأي أهل السنة:

أما عند علماء أهل السنة والجماعة فإن الأمر مختلف بالكلية، فتأريخهم لظهور التشيع مغاير لتأريخ الشيعة لمذهبهم، ولأنه لا خلاف بين علماء السنة في موضوع نشأة التشيع وارتباطه ذلك بعبد الله ابن سبأ اليهودي من يهود صنعاء.

"لقد قرر المحققون من أهل العلم بالتاريخ والمقالات أن أول من زرع فكرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام بغية الكيد له ولأهله بنشر العقائد الفاسدة وزعزعة العقيدة الإسلامية الصافية من قلوب الناس وقد ظهر ابن السوداء ــ عبد الله بن سبأ ــ أيام الخليفة الثالث ذي النورين عثمان رضي الله عنه وأرضاه حيث تظاهر بالإسلام وأخذ في التنقل في البلدان، فقد اتجه من المدينة إلى البصرة، ثم إلى الكوفة ثم إلى مصر وأخذ ينفث سمومه وينشر أفكاره الخبيثة"[2]

و عبد الله ابن سبأ هذا قد ذكر ارتباطه ببواد ظهور التشيع على يديه ابن حجر العسقلاني، فقد نقل رواية عن أبي إسحاق الفزاري دلت على هذا المعنى، يقول ابن حجر: "وقال أبو إسحاق الفزاري: عن شُعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء أو عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي في إمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ – وكان عبد الله أول من أظهر ذلك

(1) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، المرجع السابق، ص–ص: 118–119

(2) ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مكتبة الرشد – الرياض–، ط3، 1421هـ/2000م، ج3، ص896

– فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود. ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل"[1]

من خلال ما أسلفنا ذكره من أن عبد الله ابن سبأ الذي كانت نشأة التشيع على يديه، والذي تزامن وجوده مع الخلفية الثالث عثمان بن عفان ﷺ، فإن العلاقة الشرطية تقتضي أن ظهور التشيع كان بظهور ابن سبأ أي ما بين سنتي ثلاث وعشرين (23 هـــ) وخمسة وثلاثين (35 هـــ) على أقصى تقدير.

المطلب الثالث: أصول الشيعة

- **القول في الأسماء والصفات**

سلك الشيعة مسلكهم في باب الأسماء والصفات فقسموها إلى أقسام متعددة، وعرَّفوها بتعريفات خاصة خالفت تعريفات المذاهب الأخرى، وتحت هذا العنوان سنتعرض إلى قولهم – أي الشيعة – في باب الأسماء والصفات.

يقسم مذهب الشيعة أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته إلى قسمين رئيسيين، حيث يتضمن القسم الأول منهما قسمين فرعيين، فهذا القسم الرئيسي الأول يطلقون عليه اسم "صفات الذات" يندرج تحته قسمين هما الصفات الثبوتية، والصفات السلبية، فيما يسمى القسم الرئيسي الثاني بـــ "صفات الأفعال".

- **صفات الذات:** أي أن الذات مستحقة لمعناها استحقاقاً لازما لا لمعنى سواها أي لم يزل مستحقاً لهذه الصفات ولا يزال، وهي تنقسم إلى صفات ثبوتية وسلبية[2]:
  - **الصفات الثبوتية (صفات الجمال والكمال):** وهي عبارة عن الصفات التي يستحيل انفكاك الذات الإلهية المقدسة عنها وخلوها منها، وعددها أحد عشر صفة وهي: الوحدانية، العدل، الحياة، القِدم، العلم، الإدراك، المشيئة، الإرادة، القدرة، التكلم،

(1) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص483

(2) محسن آل عصفور، موجز عقائد الإمامية، رئاسة الأوقاف الجعفرية، د ر طن د س ط، ص9

الصدق[1]، يقول أبو جعفر الصدوق[2]: "كل ما وصفنا الله تعالى به من صفات ذاته فإنما نريد بكل صفة منها نفي ضدها عنه تعالى، ونقول: لم يزل الله تعالى سميعاً، بصراً، عليماً، قادراً، عزيزاً، حياً، قيوماً، واحداً، قديماً، وهذه صفات ذاته[3].

ويقول المجلسي (1037 – 1110هـ)[4]: "وأن التعطيل ونفي جميع صفاته تعالى عنه باطل، كما يلزم على القائلين بالاشتراك اللفظي، بل يجب إثبات صفاته تعالى على وجه لا يتضمن نقصاً، كما تقول: أنه عالم لا كعلم المخلوقين، بأن يكون حادثاً، أو يمكن زواله، أو يكون بحدوث صورة، أو بآلة، أو معلولاً بعلة، فأثبت له تعالى الصفة ونفيت عنها ما يقارنها فينا من صفات النقص، ولا نعلمها بكنه حقيقتها، وتقول: أنه تعالى قادر على كل ممكن، والقدرة فينا بصفة زائدة حادثة وآلات وأدوات، فتنفي عنه تلك الأمور، فتقول: قادر بذاته بلا صفة زائدة، ولا كيفية حادثة، بلا آلة، فذاته البسيط كافية في إيجاد كل شيئ"[5]، كذلك يقول محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية: "ونعتقد أن من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات "الجمال والكمال"، كالعلم والقدرة والغنى والإرادة والحياة هي كلها عين ذاته ليست هي صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلا وجود الذات،

---

(1) محسن آل عصفور، المرجع السابق، ص–ص: 09–15

(2) **الشيخ الصدوق:** أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن بابويه القمي، نزل بغداد وحدث بها عن أبيه، وكان من شيوخ الشيعة ومشهوري الرافضية، روى عنه محمد بن طلحة النعالي ويعقوب بن عبد اللّه بن سعد القمي، استشهد به البخاري في صحيحه في كتاب الطب فقال في حديث «الشفاء في ثلاثة: شرطة محجم، وشربة عسل، وكية نار» قال: رواه القمي عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس **(السمعاني، المصدر السابق، ج10، ص487)**، ويقول عنه الذهبي: "رأس الإمامية، أبو جعفر محمد ابن العلامة علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة، يضرب بحفظه المثل، يقال: له ثلاث مائة مصنف منها: كتاب "دعائم الإسلام"، كتاب "الخواتيم"، كتاب "الملاهي"، كتاب "غريب حديث الأئمة"، كتاب "التوحيد"، كتاب "دين الإمامية" **(شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص304)**

(3) الشيخ الصدوق، الاعتقادات، تح: عصام عبد السيد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط1، 1413هـ، ص27

(4) **محمد باقر المجلسي:** محمد باقر بن محمد باقر المجلسي الثاني، الأصفاني، محدث، فقيه، مؤرخ، مشارك في علوم، ولد وتوفي باصفهان، من تصانيفه الكثيرة : كتاب التوحيد الاحتجاجات والمناظرات، حديقة المتقين، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، الحق اليقين في اصول الدين، والوجيز في أسماء الرجال.**(أنظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي – بيروت –، د ر طن د س ط، ج09، ص91)**

(5) محمد باقر المجلسي، الاعتقادات، تح: مهدي الرجائي، مكتبة العلامة المجلسي، ط1، 1409هـ، ص–ص: 22–23

فقدرته من حيث الوجود حياته، وحياته قدرته، بل هو قادر من حيث هو حي، وحي من حيث هو قادر، لا إثنينية في صفاته ووجودها، وهكذا الحال في سائر صفاته الكمالية"[1]

والذي نخلص إليه من خلال ما سبق هو أن الصفات الثبوتية بالتعبير الشيعي يُقصد بها صفات الذات، أي أن الصفات الثبوتية هي عين الذات غير منفكة عنها.

الصفات السلبية (صفات الجلال): "وأما الصفات السلبية التي تسمى بصفات "الجلال"، فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه، فإن سلب الإمكان لازمه بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفة وما إلى ذلك، بل سلب كل نقص"[2]، وهي عدمية ووصفها بالجلالية لأن الذات الإلهية تجل عن الاتصاف بها، وهي: نفي التركيب، نفي التجسيم، نفي وقوع الرؤية البصرية عليه، نفي الشريك والصاحبة والولد[3]،

- **صفات الأفعال:** هي التي تجب بوجود الفعل ولا تجب قبل وجوده[4]، يقول الصدوق: ولا نقول: إنه تعالى لم يزل خلاقاً، فاعلاً، شائياً، مريداً، راضياً، ساخطاً، رازقاً، وهاباً، متكلماً، لأن هذه صفات أفعاله، وهي محدثة، لا يجوز أن يُقال: لم يزل الله تعالى موصوفاً بها"[5]. انتهى كلامه.

يُفهم مما تقدم أن صفات الأفعال هي صفات زائدة عن الذات، وكونها كذلك في صفات محدثة مخلوقة وغير أزلية، إذ لو كانت أزلية لكانت عين الذات.

- **القول في القرآن الكريم**

فيما تعلق بالقرآن الكريم بين كونه كلام الله تبارك وتعالى وبين أنه مخلوق، فإن مذهب الشيعة يرى بأن القرآن الكريم حادث أي مخلوق، يقول شيخ الشيعة الصدوق: "اعتقادنا في القرآن أنه كلام الله، ووحيه، وتنزيله ، وقوله، وكتابه، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

(1) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، منشورات مكتبة الأمين – النجف –، د ر ط، 1377هـ/ 1968م، ص39

(2) محمد رضا المظفر، المرجع السابق، ص40

(3) محسن آل عصفور، المرجع السابق، ص–ص: 16–18

(4) نفسه، ص19

(5) الشيخ الصدوق، المصدر السابق، ص27

من خلفه، وأنه القصص الحق، وأنه القول الفصل، وما هو بالهزل، وأن الله تعالى محدثه، ومنزله، وحافظه، وربُّه"[1]، وهنا يقر في كلامه هذا بأن القرآن محدث بقوله "وأن الله تعالى محدثه"، وبمثل قول الصدوق يقول المجلسي: "وكذا تقول: أنه متكلم، والكلام فينا إنما يكون بآلات وأدوات، وكلامه تعالى إيجاده الأصوات في أي شيء أراد، أو إيجاد النقوش في أي شيء أراد أو ألقاه في نفس ملك أو نبي، أو غير ذلك، فلا يقوم به ولا يحتاج في ذلك إلى آلة، وهو حادث، وهو من صفات فعله تعالى"[2].

- **القول في القضاء والقدر**

في باب القدر قال الشيعة بقول لم يقل به أحد من المذاهب التي تطرقنا إليها في بحثنا هذا، فقد قالو بنظرية الأمر بين الأمرين، يقول المجلسي: "وأنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فالقول بأن العباد مجبورون في أفعالهم يستلزم الظلم، وهو على الله تعال محال، والقول به كفر، والقول بأن لا مدخل لله تعالى مطلقاً في أفعال العباد كفر، بل لله تعالى مدخل بالهدايات والتوفيقات وتركها، وهو المعبر عنه في عرف الشرع بالاضلال، ولكن بتلك الهدايات لا يصير العبد مجبوراً بالفعل، ولا بتركها في الترك"[3]

وجاء شرح هذا القول عند كمال الحيدري في كتابه "التوحيد" كما يلي: "ما ترمي إليه نظرية الأمر بين الأمرين هو أن لا يكون الفعل الإنساني في فعل الله مباشرة، بحيث يُسند إلى الله مباشرة ولا يُسند إلى الإنسان، ولا أن يُسند إلى الإنسان فقط ولا يُسند إلى الله، بل المقصود أن الفعل الإنساني يُسند إلى الإنسان ويُسند إلى الله سبحانه أيضاً، لكن مع حفظ الجهتين[...]، فالفعل الإنساني وإن كان يصدر بقدرة الإنسان نفسه، إلا أنه يكون بإقدار الله الدائم الذي لا ينقطع، ففي كل لحظة وآن هناك تمليك وإقدار من الله للإنسان، فيسند الفعل إلى الإنسان وإلى الله مع حفظ الجهتين"[4]

(1) الشيخ الصدوق، المصدر السابق، ص83

(2) محمد باقر المجلسي، المصدر السابق، ص24

(3) نفسه، ص-ص: 20-21

(4) كمال الحيدري، التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته، دار الفرقد، د ر ط، د س ط، ج2، ص110

- **القول في الإيمان:**

"ذهب جمهور من الإمامية _ وغيرهم _ إلى أن الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط"[1]، يقول المازندراني (ت 1081 أو 1086هـ)[2]: واعتقادنا في الإيمان أنه التصديق بالجنان فقط، وأما الإقرار باللسان فهو علامة عليه، فلو عُلم إيمان رجل من علامة أخرى كفى، وليس العمل بالأركان أيضاُ جزء من الإيمان، لأن الإخلال بالواجبات وارتكاب المناهي لا يوجب الكفر بالاتفاق، وأيضاً اعتقادنا فيه أن لا يزيد ولا ينقص بنفسه، لأن اليقين هو عدم احتمال الخلاف، فإن احتمل الخلاف لم يكن إيمان"[3]، ويؤكد هذا المعنى لمفهوم الإيمان عند الشيعة كلام حيدر الآملي: "وأصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة: الإيمان عبارة عن التصديق بوحدانية الله في ذاته والعدل في أفعاله، والتصديق بنبوة الأنبياء، والتصديق بإمامة الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء"[4]

---

(1) حيدر اليعقوبي، الإيمان حقيقته درجاته آثاره من أبحاث السيد كمال الحيدري، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة – بغداد –، د ر ط، 1438هـ/2017م، ص125

(2) **محمد صالح المازندراني:** محمد صالح بن أحمد المازندراني، حسام الدين علامة جليل من وجوه العلماء بأصبهان، تتلمذ على المولى محمد تقي المجلسي وله منه إجازة الحديث، وكان صهره على بنته، وتتلمذ أيضاً على الشيخ بهاء الدين العاملي والمولى عبد الله التستري، من تلامذته الميرزا أفندي الإصبهاني، له: "شرح أصول الكافي"، و "شرح من لا يحضره الفقيه"، و "شرح زبدة الأصول"، و "شرح معالم الأصول"، و "شرح قصيدة البردة" وغشرها، توفي بأصبهان سنة 1086هـ ودفن في مقبرة المجلسي.**(أنظر: أحمد الحسيني، تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه، مكتبة آية الله المرعشي – قم –، ط1، 1410هـ، ص164)**

(3) محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، تح: أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص10

(4) حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، تح: هنري كربين، معهد إيران وفرنسا للبحث العلمي، د ر ط، 1347هـ/1969م، ص590

خاتمة الفصل

في ختام الفصل الأول نكون قد خرجنا بجملة من النتائج المهمة، والتي نذكر منها:

- التعريف على مفهوم كل مذهب من المذاهب التي تطرقنا لها، وهي: مذهب أهل الحديث، والمعتزلة، والأشاعرة، والإباضية، والشيعة.
- التعرف على التاريخ العام لهذه المذاهب.
- التعرف على الأصول العقدية لهاته المذاهب، وأهم نقاط الخلاف بينها المتعلقة بالأصول.

الفصل الثاني

المذاهب العقدية في بلاد الغرب الإسلامي

الفصل الثاني: المذاهب العقدية في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: أهل الحديث في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الثاني: الاعتزال في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الثالث: الأشاعرة في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الرابع: الإباضية المغرب الإسلامي

المبحث الخامس: الشيعة في بلاد المغرب الإسلامي

إن بلاد المغرب الإسلامي لم تكن بمعزل عن التمذهب والتعددية المذهبية، بل ظهرت فيها المذاهب العقدية كما ظهرت في المشرق، وكان لها أتباعها ومناصروها الذين يذودون عنها، لاسيما المذاهب التي كانت موضوع بحث في الفصل الأول، وعلى هذا الاعتبار، خصصنا الفصل الثاني من البحث لدراسة تلك المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي، فكان محتوى الفصل الثاني متضمنا لمذهب أهل الحديث ببلاد المغرب الإسلامي، والمعتزلة ببلاد المغرب الإسلامي، والحالل ذاته مع الأشاعرة والإباضية والشيعة.

المبحث الأول: أهل الحديث في بلاد المغرب الإسلامي

المطلب الأول: مذهب أهل الحديث ببلاد المغرب الإسلامي

قد لا يحتاج الاستدلال على المذهبية الحديثية لأهل المغرب من الجانب العقدي إلى كثير استشهاد، ذلك أن أول ما عرفه المغاربة من افسلام هو ما نقله إليهم الصحابة الفاتحون، ولمعرفة عقيدة المغاربة في بادئ الأمر يكفينا الرجوع إلى عقيدة الصحابة، غير أننا لن نكتفي بهذا الطرح دون أن ندلل عليه بما سطره علماء الغرب الإسلامي في كتبهم مما يدل على أن المذهب عند أهل المغرب كان مذهب أهل الحديث، قبل أن تفد إليه باقي المذاهب والفرق الكلامية.

"لقد ظل المغرب الإسلامي على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي، مع التنزيه للخالق ﷻ وذاته العلية عن أن تشبه الذوات وتتصف بصفات المخلوقين، وكذلك القول في الوجه واليدين والعين والنزول والمجيء والضحك وغيرها مما ورد إطلاقه على الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة"[1]، ومما يدل على تمسك المغاربة بمذهب أهل الحديث ما نراه واضحاً من كلام ابن عبد البر في مسألة الصفات: "لأن الله ﷻ لا يوصف عند جماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإنعام نظر"[2]، فهنا يقرر ابن عبد البر عقيدة أهل الحديث في باب الأسماء والصفات.

وعلى خطى ما أسلفناه من ذكر عقيدة ابن عبد البر، نجد كذلك ما يعضده من كلام ابن أبي زمنين (ت 399هـ): "واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً، والعجز عمَّا لم يدع إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه [...]، فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس وغير ذلك كما

(1) إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب، دار قرطبة، ط1، 1427هـ/2006م، ص05

(2) ابن عبد البر النمري القرطبي، المصدر السابق (جامع بيان العلم وفضله)، ج2، ص929

وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي غير نهاية لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء ما خُلق"[1]، وقوله كذلك – أي ابن زمنين – في الإيمان: قوله في الإيمان: " ومن قول أهل السنة أن الإيمان إخلاص لله بالقلوب وشهادة بالألسنة وعمل بالجوارح، على نية حسنة وإصابة السنة" ، وقال: "والإيمان بالله هو باللسان والقلب وتصديق ذلك العمل، فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه"[2]، والملاحظ فيما نقلناه عن ابن زمنين أن يوافق عقيدة أهل الحديث في باب الأسماء والصفات، وباب الإيمان كما سبق ذكرهما في الفصل السابق.

وإذا رجعنا إلى المراجع المعاصرة، وجدنا كالذي ذكرنا، من أن عقيدة أهل الغرب الإسلامي كانت عقيدة أهل الحديث، فمن ذلك ما ذكره صاحب كتاب "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى": "كان المغاربة في صدر الإسلام لذلك على مذهب جمهور السلف من الأمة واعتقادهم وهو المذهب الحق إلى أن حدثت فيهم بدعة الخارجية لأول المائة الثانية من الهجرة"[3]، وما ذكره كذلك الشيخ المبارك الميلي: "وكان أهل المغرب سلفيين حتى رحل ابن تومرت الى المشرق وعزم على احداث انقلاب بالمغرب سياسي علمي ديني. فأخذ بطريقة الاشعري ونصرها وسمى المرابطين السلفيين "مجسمين" وتم انقلابه على يد عبد المؤمن، فتم انتصار الاشاعرة بالمغرب، واحتجبت السلفية بسقوط دولة صنهاجة"[4].

سلك المغاربة مسلك الإمام مالك في العقيدة، فكان اتباعهم له عقيدة وفقهاً، "فإذا أخذنا بالمقارنة بين آراء الإمام مالك وآراء علماء المغرب في الجوانب العقدية، لاحظنا التوافق

(1) محمد بن عبد الله الأندلسي ابن أبي زمنين، أصول السنة، تح: عبد الله بن محمد عبد الرحيم، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1415هـ، ص60

(2) محمد بن عبد الله الأندلسي ابن أبي زمنين، المصدر السابق، ص207

(3) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء –، د ر ط، 1954م، ج1، ص192

(4) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر –، د ر ط، 1406هـ/1986م، ج2، ص339

التام بينهما، فمثلاُ نلاحظ على علماء المغرب هو قلة خوضهم في مسائل العقيدة تماماً كما كان الحال بالنسبة لإمامهم مالك، الذي كان يكره الكلام في هذه المسائل"[1].

ونختم بما قاله ابن عبد البر، مما يدل على اعتقاد المغاربة باعتقاد أهل الحديث: "على أني أقول :لا خير في شيء من مذاهب أهل الكلام كلهم"[2]، كان هذا بإيجاز القول في تاريخ أهل الحديث ببلاد المغرب، وقد تتوضح الصورة أكثر حينما نأتي على مشاهير علماء الحديث الذين اعتقدوا بعقيدة أهل الأثر في العنوان الموالي.

المطلب الثاني: علماء أهل الحديث في بلاد المغرب

الحديث عن علماء بلاد الغرب الإسلامي بحر خضم يحتاج في حقيقته إلى إفراده بالبحث والتأليف، ذلك أننا نجد أنفسنا أمام عدد غير متناه في شتى العلوم وفي مختلف الأزمنة، فبالتالي لا يمكننا تحت هذا العنوان إلا إعطاء لمحة ونماذج عنهم، لاسيما ونحن في معرض الحديث عن المتخصصين في الحديث وعلومه درايةً وروايةً وتفسيراً، والحقيقة الثانية أن علماء هذه البلاد لربما قد بزوا أقرانهم في المشرق، وما مؤلفاتهم في الحديث وعلومه إلا دلالة على نبوغهم وحرصهم على تعلمه وتعليمه والعناية به، ولولا مخافة الإطناب لخصصنا لأهل هذا الفن فصلاً كاملاً.

لقد تمكن علماء المغرب من إحراز قدم السبق في علم الحديث، وقد اهتموا به غاية العناية والاهتمام، "فمنهم من كتب بأعيان البدع كمحمد بن سحنون في كتابه "الحجة على القدرية"، وكيحيى بن عمر الكندي السوسي في كتبه: "الرد على المرجئة"، و"الرؤية"، و"الميزان"، وكأبي عثمان الحداد في كتابه: "الاستواء"، وأبي عبد الله محمد بن محبوب الزناتي، وابن أبي زيد لهما كتب في: الرد على القدرية"، "الرد على المرجئة"، و"الرؤية"،

(1) إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت –، ط1، 1426هـ/2005م ، ص106

(2) ابن عبد البر النمري القرطبي، المصدر السابق (جامع بيان العلم وفضله)، ج2، ص943

و"الميزان"، وكأبي عثمان الحداد في كتابه: "الاستواء"، وأبي عبد الله محمد بن محبوب الزناتي، وابن أبي زيد لهما كتب في: الرد على القدرية"[1].

وهذه العناية لم تقف عند جمع الحديث فحسب، بل تجاوزت إلى العمل به كمذهب عقدي، على خطى أهل الأثر، ودليل ذلك ما أوردناه من كتب ترد على أهل البدع ووأدها في مهدها حفاظاً على السنة واتباعاً لها، ولا شك أن لبلاد المغرب رجالها كما للمشرق رجاله، الأمر الذي يستدعي منا أن نأتي على إيراد ترجمة لبعضهم على سبيل المثال لا الحصر، وفيما يلي ترجمة لبعض من حمل لواء عقيدة أهل الحديث بالغرب الإسلامي ودافع عنها، وقد آثرت أن أورد ترجمة لإثنان من المغرب الأوسط (جزائريان بالمصطلح المعاصر) ليعرف القارئ لهذا البحث أن بلادنا لم تكن يوماً عاقراً عن إنجاب الفقهاء والعلماء والمحدثين.

- **بكر حماد بن التاهرتي (ت 296 هـ):**

من العلماء الذي ذاع صيتهم شرقاً وغرباً نجد العالم الجليل، صاحب القدر الرفيع والمنزلة العالية، الذي لا تخلوا كتب التراجم والطبقات من ذكر اسمه، إنه بكر بن حماد التاهرتي، و"هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي. نشأ بتيهرت، وارتحل الى المشرق في حداثة سنة 217هـ فسمع به الحديث من ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر، واجتمع بأدبائها مثل أبي تمام حبيب وعلي بن الجهم وصريع الغواني ودعبل، ثم عاد الى القيروان، وسمع بها من سحنون وغيره، وجلس بها للحديث [...]، وكانت وفاته بقلعة ابن حمة جو في مدينة تيهرت سنة 296 وهو ابن ست وتسعين سنة"[2]

قال عنه العجلي: "وكان من أئمة أصحاب الحديث"[3]

(1) عبد العزيز الطريفي، المغربية في شرح العقيدة القيروانية ، دار المنهاج – الرياض –، ط1، 1438هـ، ص-ص: 39-40

(2) مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص80

(3) أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار – المدينة المنورة –، ط1، 1405هـ/1985م، ج2، ص254

وقال عنه ابن عذاري المراكشي: "سمع من الفقهاء وجلة العلماء وكان عالما بالحديث وتمييز الرجال"[1]

ومما يحفظه الباحث من شعر بكر بن حماد تلك القصيدة المشهورة له، والتي هجا فيه عمران بن حطان الذي امتدح فيها قاتل علي بن أبي طالب ﷺ، ومطلع قصيدة بكر بن حماد هو:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويلك للإسلام أركانا

قتلت خير من يمشي على قدم وأول الناس إسلاماً وإيمانا

إلى أن يقول:

كأنه لم يرد قصدا بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

- **إبن أبي زمنين (ت 399هـ):**

لا يمكننا الحديث عن علماء أهل الحديث بالمغرب دون أن نذكر ابن أبي زمنين أو ابن عبر البر، غير أننا أوردنا ترجمة وافية لابن عبد البر في موضع سابق، أما إبن زمنين فهو "الإمام أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي الإلبيري، نزيل قرطبة وشيخها ومفتيها، وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه، والحديث، والزهد، سمع من سعيد بن فحلون، ومحمد بن معاوية القرشي، وطائفة، وكان راسخا في العلم، متفننا في الآداب، مقتفياً لآثار السلف، صاحب عبادة وإنابة وتقوى"[2]، توفي في ربيع الآخر، سنة تسع وتسعين وثلاث مائة[3]

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال، دار الثقافة – بيروت، ط3، 1983م، ج01،ص154

(2) عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محموط الأرناؤوط، دار ابن كثير – بيروت –، ط1، 1406هـ/1986م، ج4، ص521

(3) شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص189

قال عنه ابن العماد الحنبلي: "كان من أجل أهل وقته حفظاً للرأي ومعرفة بالحديث، واختلاف العلماء، وافتنانا في الأدب والأخبار، وقرض الشعر، الى زهد وورع واقتفاء لآثار السلف"[1].

مؤلفاته:

ذكر الذهبي في السير العديد من مؤلفات ابن أبي زمنين، منها: كتاب "**اختصار المدونة**"، وكتاب "**منتخب الأحكام**"، وكتاب "**الوثائق**"، وكتاب "**مختصر تفسير ابن سلام**"، وكتاب "**حياة القلوب**" في الزهد، وكتاب "**أدب الإسلام**"، وكتاب "أصول السنة"[2]، وله كذلك مؤلفات أخرى ذكرها القاضي عياض في ترتيب المدارك، منها: كتاب "**المهذب في اختصار شرح ابن قرين للموطأ**"، وكتاب "**أنس المريد**"، وكتاب "**قدوة الغازي**"، وكتاب "**منتخب الدعاء**"، وكتاب "**المواعظ**"، وكتاب "**النصائح**"[3].

- **أحمد بن نصر الداودي التلمساني (ت 402هـ):**

"أبو جعفر، من أئمة المالكية بالمغرب، كان بطرابلس وبها أصل كتابه في شرح الموطأ ثم انتقل إلى تلمسان، وكان فقيها فاضلا متقنا مؤلفا مجيدا له حظ من اللسان والحديث والنظر، ألَّف كتابه "**النامي في شرح الموطأ**"، و "**الواعي في الفقه**"، و "**النصحية في شرح البخاري**"، و "**الإيضاح في الرد على القدرية**"، وغير ذلك"[4]، ويكفي أن نعلم أنه "أول من شرح كتاب صحيح البخاري"[5].

ولربما تظهر مكانة هذا الرجل العلمية حينما نعلم أنه أجاز ابن عبد البر، قال أبو محمد بن عتاب: وحدثني بها أبو عمر بن عبد البر النمري الحافظ، قال: كتب إلي أحمد بن نصر

(1) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة – المغرب–، ط1، د س ط، ج7، ص184

(2) شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص189

(3) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المصدر السابق، ج7، ص185

(4) إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث – القاهرة –، د ر ط، د س ط، ج1، ص166

(5) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت –، ط2، 1400هـ/1980م، ص141

الداودي بإجازة ما رواه وألفه"[1]، ولا يمكن لابن عبد البر أن يقبل إجازة ممن يقل عنه قدراً وعلماً.

- **أبي عمر الطلمنكي (ت 429هـ):**

جاء في ترجمته عند ابن بشكوال: "أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى بن محمد بن قزلمان المعافري المقرىء الطلمنكي أصله منها، يكنى: أبا عمر، سكن قرطبة وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عون الله وأكثر عنه، وعن أبي عبد الله بن مفرج القاضي، وعن أبي محمد الباجي، وأبي القاسم خلف بن محمد الخولاني، وأبي الحسن الأنطاكي، المقرىء، وأبي بكر الزبيدي، وعباس بن أصبغ وغيرهم من علماء قرطبة وسائر بلاد الأندلس وكان: أحد الأئمة في علم القرآن العظيم قراءته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه، ومعانيه. وجمع كتباً حساناً كثيرة النفع على مذاهب أهل السنة، ظهر فيها علمه، واستبان فيها فهمه، وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه ومعرفة برجاله وحملته [...]، وكان: سيفا مجرداً، على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة، شديدا في ذات الله تعالى [...]، توفي رحمة الله سنة تسع وعشرين وأربع مائة. زاد غيره في ذي الحجة. قال أبو عمرو: وكان مولده سنة أربعين وثلاث مائة"[2].

مؤلفاته:

كتاب "**الدليل إلى معرفة الجليل**"، كتاب "**تفسير القرآن**"، كتاب "**البيان في إعراب القرآن**"، كتاب "**فضائل مالك**"، كتاب "**رجال الموطأ**"، كتاب "**الرد على ابن مسرة**"، كتاب "**الوصول إلى معرفة الأصول**"[3].

(1) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – تونس –، ط1، 2009م، ص541

(2) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، المصدر السابق، ص، ص: 48، 50

(3) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المصدر السابق، ج8، ص33

المطلب الثالث: دول الغرب الإسلامي التي اعتقدت عقيدة أهل الحديث

- **دولة الأدارسة (172 – 375هـ):**

بخصوص دولة الأدارسة فقد استشكل عندي خلال البحث في مذهبها، بين قائل بسنيتها وقائل بشيعيتها، غير أن الميل إلى القول الأول أقرب للصواب نظراً لوجود القرائن الدالة عليه، وقبل أن نأتي على ذكر تلك القرائن نذكر ما قاله حسين مؤنس في كتابه "معالم تاريخ المغرب والأندلس" الذي جاء فيه: "من الأخطاء الشائعة القول بأن دولة الأدارسة دولة شيعية، لأن مؤسسيها وأمراءها كانوا من آل البيت، والحقيقة أن الأدارسة رغم علويتهم لم يكونوا شيعيين، بل لم يكن أحد من رجال دولة الأدارسة أو أتباعهم شيعياً، فقد كانوا سنيين، لا يعرفون الآراء الشيعية التي شاعت على أيام الفاطميين، ولم يعرفوا في بلادهم غير الفقه السني المالكي"[1].

المعلوم أن المغاربة كانوا على مذهب الإمام مالك، ومن المستبعد أن تشذ إحدى الدول في هاته الفترة فترة قيام دولة الأدارسة عن هذا الاتباع، خصوصاً وأنها فترة مبكرة على ذيوع المذاهب الأخرى وانتشارها، وهذا الذي يؤكده حسن علي حسن بقوله: "بل أمعن المغاربة في تعصبهم لمذهبهم المحبب فمن كان مالكيا قبلوه وأحبوه ومالوا إليه، ومن كان غير ذلك حاربوه دون هوادة، حتى إذا قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى دعمت ووطدت المذهب المالكي بالبلاد"[2]، وهنا يتأكد لدينا أنه من خلال توطيد المذهب المالكي في دولة الأدارسة أنها دولة سنية، وإلا فمالذي يدعوها لدعم هذا المذهب إن كانت خلاف ذلك، وعلى غير مذهب أهل السنة، هذه القرينة الأولى.

أما القرينة الثانية فهي واضحة فيما قاله إدريس الأول، فقد قال عن الإمام مالك وكتابه الموطأ: نحن أحق باتباع مذهبه وقراءة كتابه يعني الموطأ، وأمر بذلك في جميع عمالته"[3]، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون متبع مذهب إمام دار الهجرة، القارئ لكتابه أن يكون على خلاف مذهبه.

(1) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، د ر ط، 2004م، ص123

(2) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي – مصر –، ط1، 1980م، ص464

(3) عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، نح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم – بيروت –، ط2، د س ط، ج1، ص82

ونختم بالقرينة الثالثة الدالة على سنية دولة الأدارسة، وهي مضمنة فيما ذكره الونشريسي بقوله: "توارد الوفود تلو الوفود من الفقهاء وغيرهم على المغرب من القيروان و الأندلس، وخاصة في عهد إدريس الثاني، وكان أول وفد ورد عليه مكونا من عرب قيس، والأزد، ومذحج، ويحصب وغيرهم، واستقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي، الذي كان من تلامذة مالك، فانتشر مذهب مالك بالمغرب وعم أرجاءه، لا سيما حين أدخلت مدونة سحنون على يد أبي ميمونة دراس بن اسماعيل الجراوي الفاسي شيخ أبي الحسن القابسي، وابن أبي زيد القيرواني وغيرهما"[1].

وهنا قد ذكر الونشريسي أن إدريس الأول قد جعل على القضاء عامر بن محمد بن سعيد القيسي، وهو سني على مذهب مالك بل من تلامذته المباشرين، ولو كان القول بشيعية الأدارسة صحيحاً لما أمكن أن يتولى القضاء بها أحد علماء الحديث والسنة.

- **دولة الأغالبة (184 – 296هـ):**

"كان سكان القيروان وعلماؤها إلى نهاية القرن الأول وبداية الثاني سنيين جميعاً، لأنهم تلقوا عقيدتهم عن الصحابة والتابعين الذين أخذوا أصول اعتقادهم من الكتاب والسنة وهو مذهب السلف الصالح الذي يأخذ بكل ما جاء به كتاب الله، والامتناع عن إثارة أي نقاش أو جدل حول آياته"[2]، وفي عهد الأغالبة استقر المذهبان المالكي والحنفي، ونشطت الحياة المسجدية وكثر العلماء وتكثفت الرحلة إلى المشرق، وأقبل أهل إفريقية على التصنيف فصنف يحيى بن سلام (ت 200هـ) تفسيره وجامعه في الحديث، ورتب الإمام سحنون المدونة وذيل مسائلها بالأحاديث، وصنف محمد بن سحنون شرحاً على الموطأ ومسنداً في الحديث وغير ذلك، وصنف العلماء كثيرا من المصنفات في الرد على المعتزلة مثل كتاب الحجة على القدرية لمحمد بن سحنون وكتاب الاستواء لسعيد بن الحداد"[3]

---

(1) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، تح: أحمد بو طاهر الخطابي، مطبعة فضالة – المغرب –، د ر ط، 1400هـ/1980م، ص12

(2) محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار – القاهرة –، ط1، 1408هـ/1988م، ص231

(3) محمد بن رزق الطهروني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية –، ط1، 1426هـ، ج1، ص68

من خلال مؤلفات سحنون وسعيد بن الحداد المعارضة لمذهب القدرية ومذهب المعتزلة، يمكن أن نستخلص عقيدة أهل الحديث التي كان يعتقد بها هذين الإمامين، كما نستخلص كذلك أنه وبالرغم من سيادة المذهب السني زمن الأغالبة إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور مذاهب أخرى، "فعندما بدأت محنة خلق القرآن في الدولة الإسلامية واشتد خطرها وخاصة في عهد المعتصم وبالتحديد في عام 218 هـ كان لسحنون موقف، فقد كان هدف هذه المحنة التخلص من الفقهاء والعلماء المعارضين لسياسة الدولة العباسية، وكان وقتذاك على إفريقية أحمد بن الأغلب الذي أراد أن يطبق نفس هذه السياسة مع فقهاء وعلماء إفريقية [...]، فلما حضر سحنون عند الأمير جمع له قواده وقاضيه محمد بن أبي الجواد وغيره، ثم سأله القاضي عن القرآن، فقال سحنون: أما شيء أبتدئه من نفسي فلا، ولكني سمعت ممن تعلمت منه وأخذت عنه كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق"[1].

تبرز عقيدة أهل الحديث في جواب الإمام سحنون والقول بأن القرآن كلام الله، ويبرز من ناحية ثانية تبني بعض أمراء الأغالبة لمذهب المعتزلة، ودليل ذلك تعرَّض سحنون للأذى على يد زيادة الله الأول الذي اشتدت محنة خلق القرآن في أيامه [...]، ولكن المحنة توقفت قبل أن ينال سحنون العذاب، وألغت الدولة العباسية القول بخلق القرآن أيام المعتصم، وتصدى أهل السنة المتمسكون للانتقام من المعتزلة، وقد تولى سحنون – الذي تولى القضاء بعد المحنة – الانتقام من عبد الله بن أبي الجواد القاضي الأسبق الذي امتحن القضاة آذى بعضهم، فجلده حتى مات"[2].

ما يجعلنا نُضمن دولة الأغالبة ضمن الدول التي اتبعت مذهب أهل الحديث رغم ظهور الاعتزال في فترة من فتراتها، هو أن عقيدة المعتزلة لم تدم طويلاً إذا ما قورنت بعمر الدولة كاملاً، ويمكن أن نقول أن هذا الأمر كان عرضياً لأجل غاية سياسية لا تتم إلا من خلال إقصاء الفقهاء، ولكن وجدنا خلال البحث أن حكام الأغالبة قد استدركوا الأمر وعادوا إلى عقيدة الفقهاء لتبنيها سيراً على خطى الخلفاء العباسيين.

(1) محمد زينهم محمد عزب، الإمام سحنون، دار الفرجاني – القاهرة –، د ر ط، 1992م، ص–ص: 140–141

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص–ص: 112، 113

- **دولة المرابطين (448 – 541هـ):**

الحقيقة التي بدت خلال البحث أنه لا خلاف في المنهج العقدي لدولة المرابطين، ذلك أن إجماع المؤرخين قديماً والباحثين حديثاً منعقد على سنية هاته الدولة، اتخذت من عقيدة أهل الحديث عقيدة لها حكاماً ومحكومين، فقد "كان قيام دولة المرابطين نصراً للمالكية في المغرب وتأكيداً لدور علماء المالكية، فالدولة أساسا هي دعوة إصلاحية استمدت تعاليمها من مذهب الإمام مالك، ثم تطورت الحركة الإصلاحية من مجرد دعوة إلى حركة مسلحة خلصت المغرب الأقصى من البدع الضالة كبدعة برغواطة"[1]، "فدولة المرابطين السنية، أقامت كيانها على مذهب أهل السنة والجماعة، والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله على هدى من سنة رسول الله ﷺ"[2]، يقول الحسن السائح في كتابه "الحضارة المغربية عبر التاريخ" كما نقله عنه الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: "إن فقهاء المرابطين كانوا سنيين، سلفيين، يكرهون المتكلمين، وينفرون من الرأي والتأويل، والخوض في مسائل التأويل"، والواقع أن الدولة المرابطية تأسست على العقيدة السلفية، وعاشت عمرها في الدعوة إليها، والدفاع عنها، حتى قدر لها أن تسقط على أيدي أعدائها"[3].

وما يؤكد لنا هاته الحقيقة هو ما قام به يوسف بن تاشفين من إحراق كتب علماء الكلام والتصدي لهم كما أورد ذلك عبد الواحد المراكشي: "وقام بأمره من بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين، وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين, وسمى أصحابه المرابطين[...]، ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى إلى اختلاف في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض

(1) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص464

(2) محمد إسماعيل المقدم، المهدي، الدار العالمية – الإسكندرية –، ط11، 1429هـ/2008م، ص253

(3) الطيب بن عمر بن الحسين، السلفية وأعلامها في موريتانيا، دار ابن حزم – بيروت –، ط1، 1416هـ/1995م، ص190

في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي – رحمه الله – المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها"[1].

كذلك نجد ما يعضد ما قلنا في علماء المرابطين، "وفي مقدمتهم القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي، كان إمام المالكية وقدوتهم وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله والمدافع عنه، وقد برز دوره واضحاً حين رفع لواء الثورة ضد عبد المؤمن بن علي والموحدين ومنتصراً للمرابطين، وهو في الواقع مدافع عن المذهب المالكي ضد الدعوة الموحدية"[2]، فوجود علماء من طبقة القاضي عياض على عهد المرابطين، وتصدره للرد على الموحدين ودعواهم لمهدية ابن تومرت، يعطينا خلاصة عامة لعقيدة المرابطين ومدى تمسكهم بالآثار والسنن ومجابهة الانحرافات العقدية وتوابعها من البدع الضالة.

- **الدولة الزيرية (362 – 543هـ):**

أدرجت الدولة الزيرية ضمن دول المغرب التي اعتقدت بعقيدة أهل الحديث، رغم أنه في بدايتها كانت تعتقد بعقيدة التشيع، ومرجع ذلك كما سبق وأن ذكرنا أن أهل المغرب عموماً كانوا على عقيدة أهل الحديث، وظهور التشيع فيهم أمر طارئ فيهم، ثم إن مذهب الشيعة لم يكن مذهب الدولة الزيرية على مدى فترة قيامها، وإنما كان خلال النصف الأول من حياة الدولة الزيرية.

وعدول الدولة الزيرية عن التشيع والرجوع إلى معتقد أهل الحديث كان خلفية "تدهور العلاقة بين المعز بن باديس وبين الفاطميين، فلم يُخف الأمير الجديد نزوعه إلى الاستقلال عن الفاطميين ورغبته في إلغاء المذهب الشيعي جملة من إفريقية، وقد تم له ذلك بعد تطورات كثيرة كانت بدايتها مذبحة الشيعة التي وقعت في بداية حكمه في المحرم من سنة 407هـ"[3]، وبذلك قطع المعز ابن باديس "دعوة الشيعة من إفريقية ودعائه لبني العباس

(1) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهروي، المكتبة العصرية – بيروت –، ط1، 1426هـ/2006م، ص، ص: 129، 131

(2) حسن علي حسن، المرجع السابق، ص465

(3) نجوان أبوبكر محمد، تاريخ إفريقية السياسي والحضاري، مكتبة مدبولي – القاهرة –، ط1، 2013م، ص64

وحمل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وإمام دار الهجرة"[1]، يقول الدكتور خالد كبير علال: "انتشر المذهب الشيعي الإسماعيلي، وفرضته الدولة العبيدية بالقوة على بلاد المغرب، فتعرض المالكية لمحن كثيرة من قتل وتشريد وتعذيب على أيدي العبيدين، ثم تغير حالهم زمن الدولة الزيرية التي انتصرت للمذهب المالكي نحو سنة 434 هجرية، ففرضته على الرعية، وتعصبت على المذاهب الأخرى"[2]

ورياضياً يمكن أن نستخلص أن أكثر فترات قيام الدولة الزيرية كانت فيها متبعة لمذهب أهل الحديث، فمن قيامها سنة 362هـ إلى غاية إلغاء المعز بن باديس للمذهب الشيعي سنة 434هـ تكون المدة 72 سنة، وهي أقل من نصف فترة قيام الدولة الزيرية التي امتدت على مدار 181 سنة، لذلك لا وشاحة في أن تكون الدولة الزيرية من ضمن دول المغرب الإسلامي التي اتبعت مذهب أهل السنة، ذلك أن أكثر مدة قيامها كانت على هذا المذهب.

المبحث الثاني: الاعتزال في بلاد الغرب الإسلامي

المطلب الأول: دخول مذهب المعتزلة إلى بلاد المغرب الإسلامي

إن الاتصال الدائم بين المشرق الإسلامي ومغربه جعلت التأثير والتأثر فيما بينما دائماً وآنياً، فما يحصل بالمشرق يحصل ما يماثله ببلاد الغرب الإسلامي، وقد مس هذا التأثير المتبادل جميع مناحي الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية، ولم يكن ظهور الفرق والمذهب استثناءً من هذه القاعدة، فالسياقات التاريخية تخبرنا بانتقال المذاهب الناشئة بالمشرق إلى المغرب والعكس، وهذا ما سيظهر جلياً حينما نرى كيف دخل مذهب المعتزلة إلى بلاد الغرب الإسلامي رغم حداثة نشأته، بل في حياة مؤسس هذا المذهب وإمامه واصل ابن عطاء.

الاعتزال ببلاد المغرب كان متزامنا مع ظهوره بالمشرق، فقد "حكى أبو الهذيل أن واصل بن عطاء بعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وبعث إلى خراسان حفص بن

(1) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد، المرجع السابق، ج1، ص194

(2) خالد كبير علال، الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، دار المحتسب، ط1، 2008م، ص327

سالم"[1]، وليس عبد الله بن الحارث إلا حاملاً لرسالة ابن عطاء إلى سكان المغرب، داعياً لهم إلى مذهبه، "وإلى ذلك يشير تلميذه صفوان الأنصاري في مدحه له قائلاً:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجـــال دعـــاة لا يفلّ عزيمهم تهـــــكم جبار ولا كـــــيد مـــاكر
وأوتاد أرض الله في كل بلدة وموضـــع فتياها وعـــــلم التشاجر"[2]

وجاء في كتاب "طبقات المعتزلة" في معرض حديثه – أي القاضي عبد الجبار – عن "بشير الرَّحال" قوله: وإنما سمِّي بشير الرَّحال لأنه كانت له كل سنة رحلة إلى الحج ورحلة إلى الغزو، فلم تزل المتعزلة معه حتى قتل بباخمرى[3]، ولحق بعض أولاده وأصحابه بالمغرب، فغلبوا على مدن منها، وأظهروا الحق فيها، وكان واصل من قبل وجَّه عبد الله بن الحارث ومعه كتبه، ثم غلبت المعتزلة في تلك المدن، ويسمون أنفسهم بالواصلية"[4].

وبلغ الاعتزال"إلى أقصى المغرب حتى بلاد السوس وقد استطاع هؤلاء الدعاة لواصل أن يجذبوا إلى نحلته الاعتزالية جماعات في الجزائر شمالاً بين ميناءي مستغانم ووهران وجنوباً في وادي ميزاب بمدينة العطفا، ولا تزال لهم مقبرة بها، ونجد المناظرات محتدمة في تاهرت بين الإباضية والمعتزلة المقيمين شماليها وكانوا يبلغون ثلاثين ألفاً"[5]، غير أن وجودهم لا يعني أنه له شوكة ورأساً في علمٍ، كما قال ابن عبد البر فيهم: لا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، كما في كتابه "الجامع"، وقد كان العلماء لا يردون عليهم بالتصنيف رداً ظاهراً، لأنهم لا يعدون خلافهم خلافاً، كما قاله ابن عبد البر في "الاستذكار.

(1) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، ص206 / خير الدين الزركلي، االمرجع السابق، ج08، ص109

(2) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف – مصر –، ط1، 1960–1995م، ج10، ص323

(3) باخمرى: موضع بين الكوفة وواسط، وهي إلى الكوفة أقرب. (عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، ص193)

(4) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، ص–ص: 193–194

(5) شوقي ضيف، المرجع السابق،ج10، ص73

ووجودهم في تلك القرون على طبقتين:

الطبقة الأولى: حَمَلَة من العامة وأواسط المتعلمين، لا ينسبون إلى العلم بالشريعة والفهم فيها، وهذا وجد في أول ظهور الاعتزال في المشرق، فقد ارتحل بعض أصحاب واصل بن عطاء إلى المغرب، كعبد الله بن الحارث، وتأثر بهم عوام المغرب وجهالهم، خاصة من البربر في تاهرت في المغرب الأوسط الجزائر اليوم.

الطبقة الثانية: بعض أمراء المغرب ككثير من الأغالبة، فقد كانوا على الاعتزال، اقتداءً ببعض أمراء المشرق من بني العباس، كالمأمون، والمعتصم، والواثق، وبعض قضاتهم، وذلك لما جعله الله من تأثر النفوس بالعِلية والكُبراء، فيقتدي الأدنى بالأعلى فيحاكيه"[1]. إنتهى كلام الشيخ الدكتور عبد العزيز الطريفي.

يقول السمعاني في كتابه "الأنساب": "والواصلية فرقة من المعتزلة، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال بالمغرب، وهم شرذمة قليلة، منهم في بلد إدريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور، يقال لهم: الواصلية، واعتزالهم يدور على ثلاثة أشياء، وهي: القول بالقدر، ونفي الصفات الأزلية، وبالمنزلة بين المنزلتين في أصحاب الكبائر"[2]

كما ذكر ابن حوقل بعض المدائن المغربية التي ظهر بها الاعتزال، من ذلك قوله: "زماتة ومزاتة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء"[3]، وقوله: "ومن بأداني سجلماسة والمغرب من البربر يأكلون البر ويعرفونه والشعير ويزرعونه [...] وفي كثير منهم الشراية والتدين القوي بها والتمسك بها وفي بعضهم الاعتزال والعلم"[4]، وذكر البلخي كذلك وجود الاعتزال في مدينتي البيضاء و طنجة وذلك في قوله: "ومن الغرب: البيضاء، وهي كورة كبيرة، يقال: إن فيها مائة ألف يجمل السلاح يقال لهم الواصلية، وبها صنف من الصِّفرية، يعرفون بالمعرورية يقولون بالعدل، لا يحصي عددهم

(1) عبد العزيز الطريفي، المرجع السابق، ص–ص: 27–28

(2) عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، المصدر السابق، ج13، ص265

(3) محمد بن حوقل، صورة الأرض، دار صادر – بيروت –، د ر ط، 1938م، ج01، ص96

(4) نفسه، ص–ص: 102–103

إلا الله، و طنجة وهي بلاد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، وهم معتزلة، وإسحاق بن محمود بن عبد الحميد، وهو الذي اشتمل على إدريس بن عبد الله حين ورد عليه، فأدخله في الاعتزال"[1].

كان هذا بالنسبة للاعتزال بالمغرب، وإذا ما توجهنا إلى الأندلس وجدنا كالذي ذكرنا بالمغرب من التمذهب بمذهب المعتزلة، ذلك أن "الأندلس لم تخل في تاريخها الثقافي من وجود لبعض أفراد المعتزلة الذين تأثروا بآرائهم أمثال أحمد بن عبد الله الحبيبي القرطبي، والداعية أبا جعفر بن هارون البغدادي، وكذا عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى (260هـ) الذي نسب إلى القدر والقول بفناء الأرواح، وقد تعرَّض له الفقهاء بالنقد، إضافة إلى تلميذه محمد بن عمر بن لبابة القرطبي (314هـ)، ومن أشهر الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق ودرسوا في حلق المعتزلة خليل بن عبد الملك الغفلة الذي طرده بقي من مخلد من مجلسه"[2]، ومن معتزلة الأندلس أيضاً: "خليل بن إسحاق، ويحيى بن السمينة، وموسى بن جدير، وأخوه الوزير أحمد"[3].

وفي سياق حديثه عن يهود ونصارى الأندلس يقول ابن ميمون القرطبي (ت 603هـ): "أما النزر اليسير الذي تجده من الكلام في معنى التوحيد وما يتعلق بهذا المعنى لبعض الجاؤنيين وعند القرائيين، فهي أراء أخذوها عن المتكلمين من الإسلام وهي نزرة جداً بالإضافة إلى ما ألَّفته فرق الإسلام في ذلك، واتفق أيضاً أن أول ابتداء الإسلام بهذه الطريقة كانت فرقة ما، وهم المعتزلة فأخذوا عنهم أصحابنا (يقصد يهود ونصارى الأندلس) ما أخذوا"[4]، وأول معتزلي أندلسي دعا إلى الاعتزال بمعناه الكامل ابن مسرة [...]، وخروجه هو وتلاميذه عن العقيدة السنية للجماعة بترويجه لأفكار المعتزلة من مثل قولهم بخلق القرآن وبأن الانسان حر في إرادته ووجوب إنفاذ الوعد والوعيد على الله"[5].

(1) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المصدر السابق (عيون المسائل والجوابات)، ص194

(2) محمد عبد الحليم بيشي، المرجع السابق، ص256

(3) محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة، دار النوادر – سوريا –، ط1، 1431هـ/2010م، ج02، ص71

(4) موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ، تح: حسين اتاي، مكتبة الثقافة الدينية، د ر ط، د س ط، ج01، ص180

(5) شوقي ضيف، المرجع السابق، ج8، ص121

المطلب الثاني: شيوخ المعتزلة في المغرب الإسلامي

لم يكن الاعتزال ليظهر بذلك الشكل ويتلقفه أهل المغرب معتقدين به لولا وجود وبروز من ينبري للدعوة إليه والمناظرة انتصاراً للمذهب، لذلك نجد أسماء بارزة من شيوخ المعتزلة التي انبرت لنشر مذهبهم بين المغاربة، و"كان ابن أبي الجواد ممن قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب، وكان مذهبه مذهبهم، وكذلك الحال بالنسبة لأبي إسحاق المعروف بالعمشاء الذي كان من أعلام رجالهم، وكان يذهب إلى القول بخلق القرآن ويُناظر فيه المناظرة الشديدة، ومن أكثر رجالهم تصرفاً في الكلام والجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر، الذي كان يقول بخلق القرآن ويناظر فيه"[1].

- **عبد الله بن أبي الجواد (ت234هـ):**

لعل أبرز شخصية تصادفنا عند التطرق لأئمة الاعتزال في المغرب الإسلامي هي شخصية عبد الله بن أبي الجواد، والسبب في ذلك يرجع إلى تبني بعض أمراء الأغالبة لمذهب المعتزلة، وتولية شيوخ المعتزلة لمنصب القضاء، فقد ذكر أبو العرب في كتاب المحن "أن موسى بن معاوية دخل على عبد الله بن أبي الجواد وهو يومئذ قاضي القيروان فقال موسى: سمعت فلاناً وفلاناً وذكر جماعةً من أهل العلم يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر، فقال له ابن أبي الجواد: لقد أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك وكان موسى بن معاوية يومئذ قد كف بصره"[2]، واعتزال ابن أبي الجواد ثابت عند كل من أتى على ذكر سيرته، قال عنه ابن عذاري المراكشي: "وكان يقول بخلق القرآن"[3]، وكذلك قال عنه القاضي عياض: "وكان يذهب إلى رأي الكوفيين، ويقول بالمخلوق"[4]، أي القول بخلق القرآن، ذكره ابن عذاري في من توفي سنة 234هـ[5].

---

(1) إبراهيم التهامي، المرجع السابق (جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة)، ص203

(2) محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي أبو العرب، المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم – الرياض –، ط1، 1404هـ/1984م، ص462

(3) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص110

(4) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المصدر السابق ، ج4 ، ص–ص: 69–70

(5) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص110

- **سليمان بن أبي عصفور الحنفي (ت 269هـ):**

كذلك من شيوخ المعتزلة الذين ذاع صيتهم ببلاد المغرب الإسلامي نجد "سليمان ابن أبي عصفور المعروف بالفراء، من أهل القيروان، كان معتزليا، ومن أهل الجدل والمناظرة في خلق القرآن، وهو من القائلين بذلك. رحل إلى المشرق، ودخل بغداد، وصحب أبا الهذيل العلاف، وبشرا المريسي وغيرهما من رؤوس المعتزلة، ولما رجع رام أهل القيروان قتله فسلم من ذلك.

مؤلفاته:

كتاب في "مشكل القرآن"، كتاب في "أعلام النبوة"، كتاب في "خلق القرآن"[1].

- **إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي:**

ومنهم كذلك "إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي القائم بدعوة أدريس بن عبد الله"[2]، ذكر المؤرخون أن إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى قد نزل عنده – أي عند إسحاق بن محمد الأوربي –، "وكان نزول إدريس عند دخوله المغرب بوليلين وهي بغربي مدينة فاس مدينة عظيمة أولية، فنزل على إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي فتابعه على مذهبه، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة"[3]، وذكره الحميري في كتابه الروض المعطار: "وكان إسحاق هذا معتزلي المذهب، فوافقه إدريس على مذهبه وأقام عنده، وأمر إسحاق قبيلته بطاعته وتعظيمه وكان ذلك في خلافة الرشيد"[4].

غير أنني لم أعثر له على مؤلفات عند من ترجم له في كتب التراجم، ومع ذلك هو أحد أبرز من قاد الفكر الاعتزالي ببلاد المغرب.

---

(1) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط2، 1994م، ج5، ص246

(2) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد ، المرجع السابق، ج01، ص121

(3) أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ج02، ص799

(4) محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت –، ط2، 1980م، ص–ص: 609–610

- **خليل بن عبد الملك بن كليب:**

ومن شيوخ المعتزلة ببلاد المغرب الإسلامي "خليل بن عبد الملك"، أورد ترجمته ابن الفرضي، وقال عنه: " خليل بن عبد الملك المعروف بخليل الفضلة، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وروى بها كتاب التفسير المنسوب إلى الحسن بن أبي الحسن من طريق عمرو بن فائد، رواه عنه يحيى بن السمينة، وكان يعلن بالاستطاعة، وكان في بدء أمره صديقاً لمحمد بن وضاح، ثم لما تبين أمره لابن وضاح هجره[...]، كان خليل مشهوراً بالقدر لا يتستر به، يقول ابن الفرضي: أخبرني أبو بكر عباس بن أصبغ قال: أخبرني بعض أصحابنا، عن أحمد بن بقي قال: سمعت أبا عبيدة يقول: حضرت الشيخ يعني بقيا وقد أتاه خليل فقال له بقي: أسألك عن أربع. فقال: ما هي؟ قال: ما تقول في الميزان؟ قال: عدل الله، ونفى أن تكون له كفتان، فقال له: ما تقول في الصراط؟ فقال: الطريق، يريد الإسلام فمن استقام عليه نجا، فقال له: ما تقول في القرآن؟ فلجلج ولم يقل شيئا، وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق فقال له: فما تقول في القدر؟ فقال؟ فقال: أقول: إن الخير من عند الله، والشر من عند الرجل"[1]

المطلب الثالث: مذهب الاعتزال ودول المغرب الإسلامي

كنا قد ذكرنا في موضع سابق أن الاعتزال لم ينتشر بتلك الصورة ببلاد الغرب الإسلامي، ونقلنا في ذلك ما قاله عنهم ابن عبد البر كونهم كانوا أقلية لا تستحق الرد، غير أن ذلك لم يمنع من ظهور الاعتزال وتبنيه كعقيدة في بعض الدول التي قامت بالمغرب سواء على مستوى الدولة ككل، أو وجود أفراد تحت سلطة الدولة يدينون بمذهب الاعتزال، وقد مر لدينا حينما تطرقنا لدولة الأغالبة أنه وجد من أمرائها من اعتقد بعقيدة المعتزلة، الأمر الذي سنفصل فيه تحت هذا العنوان.

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي– القاهرة ، ط2، 1408هـ/1988م ، ج1، ص165

- **المعتزلة في دولة الأغالبة:**

لم يمنع تبني دولة الأغالبة لمذهب أهل الحديث في أكثر فتراتها من ظهور مذاهب أخرى وتبنيها والاعتقاد بها، كما هو الحال لمذهب المعتزلة الذي ظهر في هذه الدولة تأسياً بالخلافة العباسية وتأثراً بها كما يذكر المؤرخون، ولأنه ظهر في الدولة العباسية القول ببعض آراء المعتزلة كالقول بخلق القرآن وهذه حقيقة تاريخية نعلمها جميعاً، الأمر الذي أدى بأمراء الأغالبة إلى الاقتداء بهم، "فاعتنق أمراء بني الأغلب وبلغ تعلق بعض الأمراء بالاعتزال أن كتب السجلات بخلق القرآن، وأمر بقراءتها على المنابر، وأن يحمل الناس عليها [...]، وأصبحت القيروان في هذه الفترة مركزاً لامعاً للدراسات الاعتزالية"[1]

ولعل ظهور المعتزلة على زمن الأغالبة يظهر بصورة أوضح حينما نعلم أن أمراء الأغالبة قاموا بتولية بعض الشخصيات الاعتزالية في منصب القضاء، فمن ذلك تولية أبو محرز القضاء، يقول عبد الله بن أبي عبد الله المالكي: "أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس الكناني (ت 214) ولاه إبراهيم بن الأغلب القضاء على كره منه"[2]، فإنه لما توفي ابن غانم قال ابن الأغلب له: قد عزمت على توليتك القضاء[3]، و أبو محرز هذا "من أشهر المعتزلة فقد أظهر مذهبه ولم يخش العامة، وكانت له حلقة يجتمع إليه الطلبة لتلقي الاعتزال عنه"[4]، وقد ذكرنا في موضع سابق ابن أبي الجواد المعتزلي الذي تولى القضاء على عهد الأغالبة.

(1) عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب – تونس –، ط1، 1406هـ/1986م، ص167

(2) عبد الله بن أبي عبد الله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1951م، ص189

(3) عبد الله بن أبي عبد الله المالكي، المصدر السابق، ص192

(4) عبد المجيد بن حمدة، المرجع السابق، ص168

- **المعتزلة في الدولة الرستمية:**

من دول المغرب الإسلامي التي ظهر فيها مذهب الاعتزال نجد الدولة الرستمية، التي "عاش المعتزلة في كنفها الدولة في المغرب الأوسط، والتي عرف أئمتها بالتسامح والتعايش مع المذاهب الأخرى"[1]، "وبلغ عدد الواصلية داخل الدولة الرستمية ثلاثين ألفاً"[2].

وبلغ من حظور المعتزلة في الدولة الرستمية أن عقدوا المناظرات مع مخالفيهم من الإباضية، فحدث أن "اجتمعت المعتزلة والإباضية بنهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة وكان كثير من هوارة ممن حضر"[3]، ويخبرنا أبو زكريا بن أبي بكر في كتابه "سير الأئمة وأخبارهم" عن هذه المناظرة والتي حصلت في ولاية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم: "ثم إن الإمام أمر بالصفوف فصفت، والواصلية قد صفَّت صفوفها، فخرج مهدي للمناظرة بين الصفين ومن معه من أصحابه وجماعة المسلمين فخرج معهم الإمام بوجوه أصحابه، فخرج الفتى المناظر من المعتزلة ووجوه المعتزلة معه [...]، ثم إنهما جرت بينهما وجوه من المناظرة والناس يعلمون ما يقولان، فلم يفلح أحدهما على صاحبه، ثم إنهما دخلا في فنون العلم، فخفي ذلك عمن حضرهما"[4]

ولم يتوقف نشاط المعتزلة في ظل الدولة الرستمية عن حد المناظرات العلمية فحسب، بل تجاوز الأمر بهم إلى محاولة إنشاء دولة، وحصل أن "تحركت الواصلية بعض الحركة، وذلك حين أحسوا ببعض الفرقة في الإباضية وأرادوا أن ينتهزوا بعض الفرصة"[5]، وعن ذلك يخبرنا مؤرخ الإباضية سليمان الباروني بقوله: "كانت الواصلية وهي فرقة من المعتزلة في جموع قوية عدداً وعدةً بجهات المغرب، وهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة،

(1) زيان فطيمة وبخدة طاهر، دور المعتزلة في التطور الفكري ببلاد المغرب الأوسط، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج: 19، عد02، ت ن 2023/06/05، ص338

(2) عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، دار الأندلس الخضراء – جدة –، ط1، 1421هـ/2000م، ص328

(3) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، د ر ط، د س ط، ص82

(4) أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط2، 1402هـ/1982م ، ص108

(5) نفسه، ص102

لهم رئيس في مدينة قريبة من مدينة طنجة، وهو الذي بايع إدريس صاحب المغرب الأقصى، وكان بنواحي تيهرت، منهم فريق لا يقل عن ثلاثين وقبل أربعين ألف مقاتل [...]، فاهتدت رجال هذه الفرقة إلى تأليف القلوب، وبث روح التعارف بين أفرادها، حتى اتحدت كلمتهم وتوحد رأيهم، فقامت تشق عصا الطاعة وتطلب الاستقلال والخروج عن حكم الإمام، زاعمة أنها في درجة تحكم نفسها بنفسها، وأن تقوم بإدارة شؤونها، وكأنها رأت أن من العار عليها خضوعها لمخالف لها في المذهب"[1].

كل ما أسلفنا ذكره يمكننا من تصور ذلك الحظور البارز الذي كان للمعتزلة وهم بين ظهراني الدولة الرستمية التي عرفت باتباعها لمذهب الإباضية، وقد برز حظورهم – أي المعتزلة – من خلال عقد المناظرات العلمية، الأمر الذي يؤكد التمسك والإمعان في دفاعهم عن مذهبهم العقائدي والتنظير له ومحاولة فرضه، كما تعطينا محاولتهم لمحاربة الإباضية بقوة السلاح فكرة عن مدى تواجدهم وكثرتهم، فلو أنهم كانوا قلة لما أمكنهم السعي إلى تأسيس دولة مستقلة تدين بمذهب الاعتزال، الأمر الذي يعني أنهم كان لهم تواجد كبير يتوافق وطموحاتهم السياسية الرامية إلى الانفصال عن الرستميين ولو كان ذلك بقوة السلاح.

المبحث الثالث: الأشاعرة في بلاد المغرب الإسلامي

المطلب الأول: المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي

لا يمكن الجزم بتاريخ محدد لظهور المذهب الأشعري ببلاد الغرب الإسلامي، نظراً لغياب ما يؤكد لنا ذلك في المصادر، غير أن هذا لا يمنع من وجود محاولات من طرف الباحثين للوقوف على فترة ولو تقريبية حول نشأة وبروز الأشعرية في المغرب، والأمر الذي تأكد لدينا خلال البحث أن ظهور المذهب الأشعري في بلاد الغرب الإسلامي كان في حياة مؤسسه أبي الحسن الأشعري، وعلى يد بعض من تلامذته الذي وفدوا على الغرب الإسلامي كما سنوضحه تحت هذا العنوان.

(1) سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة – لندن –، ط1، 2005م، ص-ص: 169-170

يقول الدكتور جمال علال البختي عند حديثه عن المرحلة الأولى من مراحل ظهور المذهب الأشعري في المغرب في تحقيقه لكتاب "مقدمات المراشد إلى علم العقائد" لابن خمير السبتي (ت614هـ): ""قادها العالم الفاسي دراس بن إسماعيل (ت357هـ) الذي درس بالمشرق على يد أبي الحسن الأشعري، وأخذ عنه مبادئ العقيدة الجديدة، وعاد إلى المغرب ليستقر بإفريقية حيث عمل على نشر المذهب هناك، ثم يليه في الترويج للمذهب أبو بكر بن عبد المؤمن المكي الأصل القيرواني الموطن، وهو من كبار تلاميذ ابن مجاهد (ت370هـ) – تلميذ أبي الحسن الأشعري الشهير –، وعليه تخرج الأشعري المغربي المرموق أبو الحسن القابسي"[1].

إن هذا النص الذي نقلناه يؤكد لنا الوقت المبكر لنشأة العقيدة الأشعرية وظهورها بالمغرب الإسلامي، وهناك رأي آخر يرى فيه الباحث الأستاذ إبراهيم التهامي أن دراس بن اسماعيل الفاسي هو من المبكرين بنقل العقيدة الأشعرية وليس أولهم، حيث يقول: "ولعل أول رجل عرف الأشعرية في المغرب هو إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (ت 359هـ)، والمعروف بمواقفه القوية ضد الشيعة والتي أوذي من أجلها"[2]، فيما يذكر إبراهيم التهامي دراس الفاسي بعد إبراهيم بن عبد الله الزبيري وذلك بقوله: "ورجل آخر عرف الأشعرية في وقت مبكر هو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت 357 هـ)"[3].

لم يتوقف الظهور المبكر للمذهب الأشعري عند هذا الحد، بل وجد من العلماء من نقله في بدايات القرن الخامس للهجرة "كان من بينهم ثلاثة من تلاميذ أبي بكر الباقلاني (ت 403 هـ)، وهم: أبو عمران الفاسي (ت 430 هـ)، وأبو طاهر البغدادي، و الحسين بن عبد الله الأذري، ثم ازدادت الأشعرية نشاطاً واتساعا بالمغرب الإسلامي، عندما تبناها كبار علمائه الذين عاشوا في القرن الخامس، والنصف الأول من القرن السادس الهجري، بعضهم رحل

(1) ابن خمير السبتي، المصدر السابق، ص13

(2) إبراهيم التهامي، المرجع السابق (جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة)، ص151

(3) نفسه، ص252

إلى المشرق طلباً للعلم، ثم عاد إلى بلاده متأثراً بالأشعرية، داعياً ومتحمسا لها، كأبي الوليد الباجي (ت 474 هـ)، وأبي بكر بن العربي (ت 543هـ)"[1].

وممن ذكرنا من الناقلين للمذهب الأشعري لبلاد الغرب الإسلامي من كان في الأندلس، ولربما كان هو أول من أدخل المذهب الأشعري إليها، وهو أبو الوليد الباجي الذي استفاضت كتب الطبقات والتراجم بنقل ترجمته، قال ابن خلكان في ترجمته له: "كان من علماء الأندلس وحفاظها"[2]، وأبو بكر بن العربي الإشبيلي الأندلسي الذي كان أشعرياً، قلت: وجود هذين العالمين بالأندلس يعطينا التصور الكافي لنحكم بالظهور المبكر للمذهب الأشعري بالأندلس، وأنه كان متزامنا وظهوره ببلاد المغرب الإسلامي عموماً.

المطلب الثاني: شيوخ الأشاعرة في بلاد المغرب الإسلامي

- **أبو الحسن القابسي (ت 403هـ):** كان من نظار بلاده ورحل إلى المشرق فلقي الكثير من علمائه وروى عنهم، ودرس على تلامذة الباقلاني، كما ألف "رسالة في فضل أبي الحسن الأشعري"، أحسن الثناء عليه وذكر فضله وإمامته، وله تآليف تشهد بأشعريته"[3]، قال عنه ابن عساكر (ت 571هـ): "الشيخ الفاضل الكامل أبو الحسن القابسي متأخر في زمانه متقدم في شأنه جمع العلم والعمل والرواية والدراية، من ذوي الاجتهاد في العباد والزُهاد، مجاب الدعوة له مناقب يضيق عنها هذا الكتاب كان عالماً بالأصول والفروع والحديث وغير ذلك من الرقائق ودقيق الورع وله رسالة في أبي الحسن الأشعري"[4].
- **أبو محمد الأصيلي الأندلسي (ت 393هـ):** "عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله، أبو محمد الأندلسي، الأصيلي، ثم القرطبي، المالكي، تفقه بأبي بكر اللؤلؤي، وأخذ عن أبي الحسن الدارقطني، وأبي بكر الأبهري، وأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني،

---

(1) خالد كبير علال، الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، دار الإمام مالك – البليدة –، ط1، 1423هـ/2005م، ص–ص: 49–50

(2) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ابن خلكان)، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت –، د ر ط، د س ط، ج2، ص408

(3) ابن خمير السبتي، المصدر السابق، ص14

(4) علي بن الحسن بن هبة الله، المصدر السابق، ص122

وغيرهم"[1]، اشتهر عند المؤرخين بأشعريته نظراً لدراسته بالمشرق على كبار الأشاعرة، ولظهور بعض المؤشرات الواضحة في مؤلفاته تومئ إلى أخذه ببعض المواقف والاختيارات في هذا المذهب"[2]، قال عنه المقريزي (ت 845هـ): وكان من حفاظ رأي مالك بن أنس، إلا أنه كان على مذهب العراقيين من أصحابه في وضع الحجاج والتكلم على الأصول وترك التقليد[3].

مؤلفاته:

- كتاب "الدليل إلى أمهات المسائل"[4]
- **أبو عمر عثمان السلالجلي (ت 564هـ):** "عثمان بن عبد الله القيسي القرشي المعروف بالسلالجي يكنى أبا عمرو، من بيت بني السلالجي، كان إماماً عالماً محصلاً، إمام أهل المغرب في علوم الاعتقادات، أخذ عن ابن حزهم، وأبي الحسن ابن خليل، والإشبيلي أخذ عنه علم الكلام وأصول الفقه [...]، ورحل إلى بجاية وعزم على الرحلة منها إلى المشرق [...]، ولقي علي ابن اللخمي المعروف بالإشبيلي، وكان له بصر بكتاب الإرشاد فلازمه وفهم عليه الكتاب المذكور [...]، ورتبته كرتبة أبي المعالي في العلم، وهو منقذ أهل فاس من التجسيم"[5]، يقول عنه عبد الله كنون: "وهو الذي على يده وقع تحول أهل فاس من المذهب السلفي في العقيدة إلى المذهب الأشعري تبعاً للتيار العام الذي اكتسح المغرب بأجمعه في هذا الأمر نتيجة لدعوة ابن تومرت"[6].

---

(1) أبو الطيب نايف المنصوري، الدليل المغني لشيوخ أبي الحسن الدارقطني، دار الكيان – المملكة العربية السعودية –، ط1، 1428هـ/2007م، ص229

(2) ابن خمير السبتي، المصدر السابق، ص14

(3) تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط1، 1427هـ/2006م، ج4، ص246

(4) تقي الدين المقريزي، المصدر السابق (المقفى الكبير)، ص246

(5) ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تح: مروان العطية، دار المنصور – الرباط –، د ر ط،، 1973م، ص458

(6) عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، د د ن، ط2، 1380هـ، ج01، ص121

المطلب الثالث: دول المغرب الإسلامي التي اعتقدت بمذهب الأشاعرة

- **دولة الموحدين (524 – 668هـ):**

لعل أكثر دول المغرب الإسلامي وضوحاً من حيث مذهبها العقدي هي دولة الموحدين، ذلك أن مؤسسها هو نفسه الذي أقرَّ مذهبها العقدي وتبناه من تبعه، فالمعروف أن الذي أنشأ دولة الموحدين هو المهدي ابن تومرت، "الذى زار المشرق وتتلمذ فيه على الأشعرية وغيرهم"[1]، "ورجع إلى المغرب وقد حصل على جانب كبير من العلم، وطعن على أهله في الوقوف مع الظاهر وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في جميع العقائد، وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة وغيرها[...]، وكان يسمي أتباعه الموحدين تعريضا بمن يجنح عن التأويل ويقف مع الظاهر فيوقعه في التجسيم وغيره"[2].

وفي حديثه عن ابن تومرت يقول المراكشي: "فخرج قاصداً مدينة فاس، فلما وصل إليها أظهر ما كان يظهره، وتحدث فيما كان يتحدث فيه من العلم، وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية"[3]، يقول ابن خلدون: "وجاء المهدي على أثرهم داعياً إلى الحق آخذا بمذاهب الأشعرية ناعياً على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الأشعرية وسمى أتباعه الموحدين"[4]

والشاهد مما سبق أنه لا خلاف بين المؤرخين والباحثين في مسألة أشعرية الدولة الموحدية، والذي يمكن استخلاصه من خلال القراءة التاريخية وعلى ضوء ما ذكرنا، أن أشعرية الدولة الموحدية كانت – إن صح تجاوزا – بقرار سياسي، فالذي دعا لعقيدة الأشاعرة هو نفسه حاكم الدولة وأميرها.

---

(1) شوقي ضيف، المرجع السابق، ج9، ص130

(2) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية – بيروت –، ط1، 1407هـ/1987م، ج5، ص132

(3) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص139

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص286

- **الدولة المرينية (591 – 957هـ):**

المعروف تاريخياً أنه بعد سقوط دولة الموحدين تأسست على أنقاضها كل من الدولة المرينية في المغرب الأقصى، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، لذلك قد لا يحتاج الاستدلال على أشعرية هاته الدول الثلاث إلى كثير جهد بقدر ما يكون استنتاجاً من حيث طبيعة الأحداث التاريخية وترابطها، وكون أن هاته الدول الثلاث كانت نتيجة لسقوط دولة الموحديث، فلا شك أن البصمة الموحدية الأشعرية ستظل حاضرة سواء على الأمراء أو العلماء أو حتى عامة الشعب في تلك الدول الثلاث.

وبالنسبة للدولة المرينية فقد كان البحث موافقاً للاستنتاج، فقد ذكرت المصادر والمراجع على حد سواء أن المذهب العقدي الذي سادها – أي الدولة المرينية – هو المذهب الأشعري، يقول عبد الله كنون: "وهكذا أيضا كان عمل المرينيين في الناحية الدينية سليما من أي نزعة، خالصاً من كل بدعة، فإذا كان المذهب الأشعري في العقائد قد تقرر في العصر السابق، وصار هو الغالب على أكثرية المغاربة، فقد علمت أنه تقرر بعيدا عن تأثير الدولة، وخاليا مما كانت تضيفه إليه من آراء شاذة مأخوذة عن المعتزلة وغلاة الشيعة، على أنه قد عم العالم الإسلامي، وأصبح هو والمذهب الماتريدي المذهبين العقدين الرسميين السائدين في سائر مملكة الإسلام"[1]

وفي كتابه "الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء" يقول محمد إدريس الطيب: "وفي العصر المريني أقرَّ المغاربة المذهب الأشعري بعدما استبعدوا الأفكار الشيعية التي أضافها ابن تومرت"[2]، ويمكن أن نستدل بقرائن أكثر وضوحاً أشعرية الدولة المرينية، وذلك من خلال معرفتنا لكتب العقيدة التي كانت تُدرَّس في مدارسها، والتي من أهمها: "عقيدة الرسالة القيروانية، والمرشدة لابن تومرت في الأقسام المتوسطة، وكتاب الإرشاد لإمام الحرمين الجويني قي الصفوف النهائية"[3]، وهذه الكتب كلها من مصادر العقيدة الأشعرية.

---

(1) عبد الله كنون، المرجع السابق، ج1، ص184

(2) محمد إدريس الطيب، الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة، كتاب ناشرون – بيروت –ن د ر ط، د س ط ، ص99

(3) محمد إدريس الطيب، المرجع السابق، ص99

ونختم بالقول أنه وبالإضافة إلى ما ذكرنا، فإن كبار علماء الدولة المرينية كانوا من الأشاعرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر: أبو الحسن الطنجي اليفرني (ت734هـ)، "وله شرح على البرهانية للسلالجى سماه: "المباحث العقلية فى شرح معانى العقيدة البرهانية"[1]، و شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، الشهير بزروق (ت 899هـ)، له كتاب بعنوان "شرح العقيدة القدسية"[2].

- **الدولة الزيانية (632 – 962هـ):**

لم يكن الحال مختلفاً في الدولة الزيانية، فقد اشتهرت هي الأخرى بتبنيها للعقيدة الأشعرية، وقد اشتهر فيها من العلماء من عُرف بأشعريته وألَّف فيها الكتب والمصنفات، و"من أشهر العلماء الذين ألفوا في علم التوحيد والذين تأثر بهم علماء تلمسان أو عاشوا على مؤلفاتهم ولم يأتوا بجديد، محمد بن عمر بن شعيب السنوسي [...]، وعقيدته الكبرى أول ما صنفه في التوحيد وشرحها في ثلاثة عشر كراسة والصغرى شرحها في ستة"[3]، وفي مقال لهما بعنوان "أثر الإمام السنوسي في تجديد ونهضة العقيدة الأشعرية" يقول الأستاذين سبع قادة وعفيف عيسى: "ومن هؤلاء الذين بعثهم الله ليجددوا لهذه الأمة دينها في القرن التاسع الهجري، وذلك بتصحيح عقائد الأشاعرة، وإزالة الشبه العالقة، ومجابهة الجمود الفكري والتقليد الأعمى هو الإمام محمد بن يوسف السنوسي[4].

ومن العلماء في الفترة الزيانية الذين اشتهروا بمذهبيتهم الأشعرية "الإمام أبو عثمان سعيد العقباني (ت 811هـ) شارح المنقول والمعقول، وعلى كثرة انشغالاته التعليمية والقضائية، فقد ترك مصنفات كثيرة في فنون عديدة، ومن أبرز مصنفاته في علم الكلام ترسيخاً لعقيدة الأشعري: شرح البرهانية في أصول الدين"[5]

(1) شوقي ضيف، المرجع السابق، ج10، ص367

(2) عبد الله كنون، المرجع السابق، ج1، ص218

(3) مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، ط1، 2009م، ص205

(4) سبع قادة وعفيف عيسى، أثر الإمام السنوسي في تجديد ونهضة العقيدة الأشعرية، مجلة عصور الجديدة، مج10، عد4، ديسمبر 1442هـ//2020م، ص191

(5) بوقنادل عبد اللطيف، إسهامات علماء تلمسان في ترسيخ عقيدة الإمام الأشعري في القرن التاسع الهجري، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج15، عد2، 2022م، ص565

ومنهم كذلك "الإمام أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري (ت 898هـ) صاحب النظم في علم الكلام المسمى "كفاية المريد في علم التوحيد" والشهير بالجزائرية، وهو منظومة لامية تزيد على 400 بيت، وقد شرحها الشيخ السنوسي وسمى شرحه "العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد"[1].

يتضح من خلال ما سبق أن كبار علماء الدولة الزيانية كانوا على العقيدة الأشعرية، الأمر الذي يتأكد من خلاله أن الزيانيين إنما كانوا على عقيدة أبي الحسن الأشعري، وذلك كما أسلفنا امتداد للعقيدة التي سادت على زمن الدولة الموحدية.

- **الدولة الحفصية (625 – 941هـ):**

لم تكن الدولة الحفصية استثناءً من الدولتين المرينية والزيانية في مسألة الاعتقاد بالمذهب الأشعري، وهذا الذي يتأكد لدينا سواء من حيث الكتب التي كانت معروفة متداولة بين الحفصيين أو من خلال عقيدة كبار علمائها، وبالنسبة للكتب فقد "كانت المرشدة معروفة بتونس، متناولة فيها بالحفظ والدراسة وقد قام بشرحها أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني[...]، وميزة هذا الشرح أنه دقيق في إيراد المسائل الكلامية وتحليلها، ومما يدل على عناية أهل تونس بالمرشدة أن أبا القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي (ت 844هـ) ذكرها في نوازله، وأورد نصها كاملا، وقال فيها: «تواتر الخير عن الإمام المهدي الشريف رئيس الموحدين وأولهم في ذلك عقيدته المشهورة بالمرشدة . . . وقد كثر حفظ هذه العقيدة لقلتها وبلاغتها»[2]"، واهتمام العلماء الحفصيين بالمرشدة يُظهر بما لا يدع مجالاً للشك عقيدتهم الأشعرية.

وبالنظر إلى مؤلفات بعض علماء الدولة الحفصية كأبي عبد الله محمد بن خليل السكوني (716هـ)، صاحب كتاب "اختصار كتاب "البرهان: لإمام الحرمين الجويني، وكتاب "لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام"[3]، فإن البصمة الأشعرية بادية فيها لاسيما اختصار كتاب الإمام الجويني الذي هو من أعمدة المذهب الأشعري، وقد جاء في ترجمته – أي السكوني

(1) بوقنادل عبد اللطيف، المرجع السابق، ص566

(2) عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1403هـ/1983م، ص456

(3) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص–ص: 50 – 51

– عند الأستاذ عمر رضا كحالة: محمد بن خليل التونسي السكوني: متكلم من آثاره: لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام"[1]

ومما يدل كذلك على ذيوع المذهب الأشعري في الدولة الحفصية ما نجده من ثناء أحد أكابر علمائها على الأشاعرة ومذهبهم، وهو الإمام أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت 841هـ) في كتابه "جامع مسائل الأحكام"، ومن ذلك:

"نقله لكلام ابن بزيزة في شرح الإرشاد قوله: وإذا تضفحت مذاهب الأشعرية وقواعدهم ومبادئ أدلتهم وجدت ذلك مستفاداً من الأدلة راجع إليها [...]، وكيف يرجع إلى رأي ابن خويز ويترك أقوايل أفاضل الأمة وعلماء الملة من الصحابة ومن بعدهم كالأشعري والباهلي والباقلاني والمحاسبي وابن فورك والإسفراييني والقلانسي وغيرهم من أهل السنة"[2].

وفيما نقله البرزلي من ثناء على كبار الأشاعرة كالأشعري والباقلاني والمحاسبي وكل من ذكرهم يؤكد أشعريته، وقول البرزلي كذلك عن النظر في علم الكلام: "بل نظر فيه السلف قطعاً منهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وابن عباس حبر الأمة [...]، وإنما نُسب للأشعري لأنه بيَّن مناهج الأوليس ولخص موارد البراهين، ولم يحدث فيه بعد السلف إلا مجرد الألقاب والاصطلاحات"[3]، بالإضافة إلى نقله لكلام أحد شيوخه الذي مدح علم الكلام، يقول البرزلي: "وسمعت شيخنا الفقيه الإمام ونقلت من خطه: وأكثر حجج أهل الكلام مستنبطة من القرآن العظيم"[4].

حوصلة ما ذكرنا انطلاقاً من تقرير عقيدة المرشدة مروراً بمؤلفات أبي عبد الله السكوني، ووصولاً إلى ما نقلناه عن البرزلي، فإنه يمكن القول أن العقيدة التي تقرَّرت في عهد الدولة الحفصية هي العقيدة الأشعرية، والتي تُرجمت في عقيدة علمائها ومؤلفاتهم.

(1) عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج09 ، ص289

(2) أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، فتاوى البرزلي (جامع مسائل الأحكام)، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، ص214

(3) أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، المصدر السابق، ص215

(4) نفسه، ص216

المبحث الرابع: الإباضية في الغرب الإسلامي

المطلب الأول: تاريخ الإباضية في المغرب الإسلامي

ظهر لنا خلال البحث أن بلاد المغرب قد عرفت المذهب الإباضي في وقت مبكر جداً، وهذا الذي تقرره المصادر التي اعتمدناها في موضوع بحثنا عن التواجد الإباضي ببلاد المغرب الإسلامي، فمما نقلناه قول سليمان الباروني: "لا يوجد في المستندات ما يدل دلالة واضحة على تاريخ انتشار هذا المذهب في الشمال الإفريقي بالضبط، وإنما لنا أن نجزم بأنه في عهد مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، كان مذهب الإباضية بطرابلس قوياً منتشراً، ومما يدل على ذلك أن الحارث وعبد الجبار زعيمي الإباضية كان قد حدث بينهما وبين عامل طرابلس من قبل بني أمية خلال أدى إلى نشوب الحرب بين الفريقين، كانت الدائرة فيها على العامل، فانتزعا منه طرابلس وملكاها حيناً من الدهر وحكماها بعدل من الدهر إلى أن وجدا قتيلين وسلاح كل منهما في الآخر، والظاهر أن عبد الجبار هو الإمام والحارث وزيره أو قاضيه [...]، وفي رواية لغير أصحابنا أن القاتل لأولهما هو عبد الرحمن بن حبيب عامل القيروان وذلك سنة 131 هـ وقيل سنة 132 هـ"[1]، انتهى كلامه.

وفي رواية مشابهة لما ذكره الباروني، نجد خليفة بن خياط (ت 240 هـ) يذكر عبد الجبار بن معن الإباضي الذي سبق ذكره فيما نقلها عن الباروني، يقول بن خياط: "وفي هذه السنة وهي سنة تسع وعشرين ومائة تحركت الإباضية بالمغرب فوثب عبد الرحمن بن حبيب الفهري على رأسهم سعد بن مسعود فقتله وصلبه فخرجت الإباضية عليهم عبد الجبار بن معن فلقيهم يزيد بن صفوان المعافري في صفر سنة تسع وعشرين ومائة فقتل الأميران وانهزم أصحاب ابن حبيب"[2]، وكلتا الروايتين تكمننا من تصوُّر التواجد المبكر للإباضية في بلاد المغرب.

بل نجد فيما ذكره الدرجيني أن ظهور الإباضية بالمغرب كان قبل ما ذكره الباروني وابن خياط، قال الدرجيني: "حدَّث غير واحد من أصحابنا عن الإمام أفلح عن ابنه عبد

(1) سليمان الباروني، المرجع السابق (مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الاستقامة)، د ر ط، 1357هـ/1938م، ص33

(2) خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم – دمشق –، ط2، 1397هـ، ص389

الوهاب عن جده عبد الرحمن بن رستم أنه قال: أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية سلامة بن سعيد، قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس متعقبين على بعير فسلامة يدعو إلى مذهب الإباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية"[1]، وفي هذه الرواية ذكر الدرجيني عكرمة (ت 107هـ) مولى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ﷺ، وبمقارنة قدوم سلامة بن سعيد مع عكرمة إلى المغرب مع تاريخ وفاة عكرمة الذي كان سنة 107هـ، يمكننا أن نستنتج أن ظهور الإباضية كان قبل هذه السنة، أي قبل سنة مائة وسبعة للهجرة.

ومما يدل كذلك على تبكير المذهب الإباضي بالدخول إلى بلاد المغرب، هو "إرسال بعثة إلى البصرة بالعراق درسوا لمدة خمس سنوات على يد مسلم بن أبي كريمة (ت 145هـ) زعيم الإباضية وسموا طلبة العلم وبعد رجوعهم تفرقوا في القبائل ناشرين أفكارهم"[2]، بالإضافة إلى ترجمة "أبو الخطاب المعافري" التي أوردها الصفدي له في كتابه الوافي بالوفيات وذلك بقوله: أبو الخطاب المعافري: عبد الأعلى بن السمح أبو الخطاب المعافري مولاهم رأس الإباضية وهم صنف من الخوارج بالمغرب خرج بالمغرب ودعي له بالخلافة في عصر الأربع والأربعين ومائة واستفحل أمره وكان له شأن فندب له المنصور محمد ابن الأشعث الخزاعي فقتل عبد الأعلى سنة أربع وأربعين ومائة وكانت أيامه أربع سنين"[3]، ورواية الصفدي هذه تدل على قوة الحضور الإباضي بالمغرب، لدرجة الدعوة لأبي الخطاب المعافري بالخلافة على رأس الإباضية.

من خلال ما أسلفنا ذكره يتضح أن ظهور المذهب الإباضي كمذهب عقدي كان من أوائل المذاهب التي وفدت على بلاد المغرب، فهو سابق لمذهب المعتزلة، ومذهب الأشاعرة، والمذهب الشيعي، إذ أنه وكما ذكرنا كان في بدايات القرن الثاني للهجرة، وقد يفضي التعمق

(1) أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث – قسنطينة –، د ر ط، ، 1394هـ/1974م، ج02، ص11

(2) محمد بن رزق الطهروني، المرجع السابق، ج1، ص55

(3) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث – بيروت –، 1460هـ/2000م، ج18، ص05

في البحث إلى أنه وجوده – أي المذهب الإباضي – كان قبل ذلك أي في نهايات القرن الأول.

المطلب الثاني: شيوخ الإباضية بالمغرب الإسلامي

كغيره من المذاهب التي ظهرت ببلاد المغرب، كان لزاما أن ينبري للدعوة الإباضية شيوخ وعلماء ودعاة، وإلا لما أمكنه أن يتمكن بين السكان وينتشر، وتحت هذا العنوان سنعرج على جملة من علماء المذهب الإباضي المتقدمين، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، ومن علماء الإباضية الذين آثرنا ذكرهم تحت هذا المطلب هم:

- **عمروس بن فتح المساكني النفوسي أبو حفص (ت 283 هـ):** من أبناء جبل نفوسة، ولد في طريق الحج، ونشأ في قرية قطرس من أرض الرحيبات بجبل نفوسة، عاصر الإمام أبا اليقظان محمد بن أفلح وتلقى علمه على مشايخ الجبل، إذ لم يشغله الجهاد في سبيل الله عن طلب العلوم والتفقه في الدين، حتى صار أعلم أهل زمانه، وعُرف بالحفظ والاجتهاد والمعرفة والدراية، تولى القضاء بجبل نفوسة في ولاية إلياس آخر أيام الدولة الرستمية [...]، ولعمروس عدة تصانيف في الفقه والعقيدة[1]، منها: كتاب "العمروس" الذي أجاب به عبد الخالق الفزاني، كتابان في الأصول والفقه، كتاب "عمروس بن فتح"، كتاب "أعلام الملة"، كتاب "الحكم والمعارف"، كتاب "الدينونة الصافية"، كتاب في الرد على النكاث وأحمد بن الحسن"[2]
- **يغلا بن زلتاف الوسياني أبو خزر (ت 380 هـ):** من كبار علماء الإباضية، برع في علم الكلام وانفرد فيه بآراء متميزة، وهو من أبناء الحامة بقسطيلية من بلاد الجريد بالجنوب التونسي، إذ كانت في عهده آهلة بالإباضية، نشأ بها وتلقى العلم عن جلَّة علماء عصره، أخذ الأدب وعلم اللسان والفروع عن أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي،

(1) محمد بن موسى بابا عمي وزملاؤه، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط2، 1421هـ/2000م، ج2، ص-ص: 321 – 322

(2) عمروس بن فتح النفوسي، أصول الدينونة الصافية، تح: حاج أحمد بن حمو كروم، وزارة التراث القوي والثقافة – مسقط – عمان، ط1، 1420هـ/1999م، ص21

وأخذ الأصول عن سحنون بن أيوب، تصدر هو وزميله أبو القاسم يزيد بن مخلد اليهرانسي للتعليم، فعقدا حلقات وقصدهما الطلبة من مختلف مواطن الإباضية بالمغرب. انتهجا طريقة المدرسة المتنقلة بين أحياء مزاتة، ومن تلاميذه: أبو نوح سعيد بن زنغيل، وأبو زكرياء فصيل بن أبي مسور الهراسني[...]، توفي سنة 380هـ، وترك كتاباً بعنوان "الرد على جميع المخالفين" ولعله أقدم كتاب إباضي في علم الكلام بعد الدينونة الصافية"[1]

- **عبد الله اللمطي (أواخر ق 03 هـ):** قال عنه الشماخي: "كان غاية في علم الكلام يرد على الفرق وينقض مقالات المبتدعة وألف كتباً في ذلك"[2]، "وهو من علماء تيهرت الرستمية في المعقول والمنقول، وكان معاصراً للإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (حكم: 261 – 281هـ)، اشتهر في الجدل والمناظرة والتأليف، فكتب في الرد على الفرق وكان يناظر المعتزلة [...]، ونظراً لمكانته في الجدل ورسوخ قدمه في الحجة والبرهان، اختاره يعقوب بن أفلح، وقدَّمه ليمثِّله في التحكيم الذي جرى بينه وبين ابن أخيه أبي حاتم يوسف، إثر الفتنة الداخلية التي ألمَّت بالأسرة الرستمية خاصة، وبالمجتمع التيهرتي بعامة"[3]
- **عامر بن علي بن عامر بن يسفاو الشماخي أبو ساكن (ت 792هـ):** "أحد أكبر مشايخ الإباضية في جبل نفوسة بليبيا، مجدد المذهب وموحد الأمة، لقب بجدار بـ "يسفاو" ومعناها بالعربية: ضياء الدين، أخذ علمه عن الشيخ أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي، وكان ملازما مصاحبا لأبي عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيى، مؤثراً على غيره من الأشياخ.

مؤلفاته:

كتاب في العقيدة ألفه لنوح بن حازم، كتاب "الإيضاح" في أربعة أجزاء"[4].

(1) محمد بن موسى بابا عمي وزملاؤه، المرجع السابق، ج2، ص–ص: 477 – 478

(2) أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، السير، تح: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، 1412هـ/1992م، ج2، ص190

(3) محمد بن موسى بابا عمي وزملاؤه، المرجع السابق، ج2، ص–ص: 259 – 260

(4) نفسه، ج2، ص240

- **أبو يعقوب الوارجلاني:** أبو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم السدراتي، من رجال القرن السادس الهجري، توفي سنة 570 هـــ، تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن العزيز، وتفقه في الدين على منهاج الإباضية الوهبية، وأخذ مبادئ علوم الدين من عقائد وفقه عن مشائخه في وارجلان، ارتحل إلى الأندلس وسكن قرطبة – وهو شاب – أعواماً عديدة لاستكمال علومه في فنون اللسان والتفسير والحديث والتنجيم [...]، ولما عاد من رحلته لازم داره بـــ "ورقلة" منكباً على الدرس والتأليف.

مؤلفاته:

له من التآليف: نفسير القرآن في سبعين جزءاً، والقصيدة الحجازية نظم فيها رحلته العلمية إلى تلك الديار تقع في 260 بيتاً، واشتهر له في خدمة كتب الحديث "ترتيب سند الربيع بن حبيب"، وكتاب "الدليل والبرهان"[1]

ولمن أراد التعرف أكثر على أسماء أخرى لدعاة الإباضية بالمغرب، فيمكن الإحالة إلى كتاب "معجم أعلام الإباضية" لمجموعة من الباحثين، وهو الكتاب الذي كان اعتمادنا عليه خلال البحث في موضوع شيوخ الإباضية.

المطلب الثالث: الدولة الرستمية دولة الإباضية بالمغرب الإسلامي

- **الدولة الرستمية (144 – 296 هـــ):**

لا يمكن ذكر الإباضية بالمغرب إلا ويتبادر إلى الذهن الدولة الرستمية، فالإباضبة – إن صح تجاوزا – هي الدولة الرستمية، والدولة الرستمية هي المذهب الإباضي وحاملة لواء نصرته والدعوة إليه والدفاع عنه، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي رحمة الله عليه: "نشأت هذه الدولة عام 144هـــ، وانقرضت عام 296هـــ، فكان عمرها 150 عاما، وهي أول دولة جزائرية قامت في صميم القطر الجزائري من أهله، بالمعنى الجغرافي العصري للجزائر، وقد قامت على نزعة مذهبية انتقلت من المشرق إلى المغرب، وانتشرت أول ما انتشرت في القبائل ذات الشوكة، حوالي طنجة البعيدة عن منال ولاة القيروان، ثم انتشرت في المغارب الثلاثة على أيدي دعاة متشددين، وهذا المذهب لا يرى الخضوع لسلطة عباسية

(1) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، ط3، 1429هـــ/2008م، ج2، ص175

ولا علوية، ولا يرى صحة الإرث لبيت ولا لقبيل في الخلافة الإسلامية، بل يرى الخلافة للأصلح، ويرى استعمال السيف لإقرار هذا المبدإ الذي هو جزء من العقيدة فيه"[1]

إن الدولة الرستمية كالدولة الموحدية من حيث منطلق النشأة، فهي قد تأسست على خلفية عقائدية دينية، كان فيها المذهب الإباضي هو الدافع إلى تأسيسها، وهذا ما نلتمسه في تراجم حكامها وخلفائها كعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثاني الأئمة الرستميين، من الإباضية في تيهرت، الذي بويع إثر وفاة والده بشهر (سنة 171 هـ) [...]، وكان فقيهاً عالماُ، متضلعا في علوم الشريعة[...]،اجتمع له من أمر الاباضية وغيرهم ما لم يجتمع مثله لزعيم اباضي قبله، له كتاب يعرف باسم "مسائل نفوسة " و "فتاوى"[2]، وكما قلنا الناس على دين ملوكها، لذلك من الطبيعي أن تكون الدولة الرستمية إباضية المذهب فهو دين ملوكها وخلفائها.

وجانب آخر يؤكد لنا إباضية الرستميين وذلك من خلال النظر فيما كان يتعلمونه من علوم الشريعة، والكتب التي كانوا يتدارسونها ويدرِّسونها لصبيتهم، يقول الدكتور بحاز إبراهيم بكير: "ولا شك أن الكتب التي ألفها الأئمة الرستميون كانت محل اهتمام وعناية الرعية، يتدارسونها ويتناقلونها في حلقاتهم، وهذا ما يفهم من كلام ابن الصغير، عندما تحدث عن كتاب "مسائل نفوسة" للإمام عبد الوهاب فقال: وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهوراً عندهم، معلوماً يتداولونه قرناً عن قرن"[3]، وعلى التفصيل نجد أن المواد التي كانت تُدرَّس تتعلق بكل ما هو إباضي، فمن ذلك "استيعاب تاريخ السلف ويضم ذلك بالنسبة للإباضية: سيرة الرسول والخلفاء الراشدين والصحابة، وسيرة عبد الرحمن بن رستم وغيره من الأئمة بالمغرب، وسيرة علماء الإباضية الأوائل مثل جابر بن زيد الأزدي وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعبد الله بن إباض ومرداس بن أدية وغيرهم"[4]، وهذه الشخصيات كلها إباضية.

(1) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، ج5، ص-ص: 106 – 107

(2) عادل نويهض، المرجع السابق، ص148

(3) بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، جمعية التراث – القرارة – الجزائر، ط2، 1414هـ/1993م، ص297

(4) نفسه، ص295

وليس أدل على إباضية الرستميين مما ذكره الإباضي المتأخر زمناً الشيخ محمد علي دبوز وذلك بقوله: "وكان الأئمة الرستميون لعلمهم ودينهم واختلاطهم بشعبهم يلقون بأنفسهم دروس الوعظ والإرشاد، وفنون العلم بين الصلوات في المسجد الجامع، فتسمع العامة فتمتلي بدين إمامها ورئيس دولتها"[1]، وكلام الشيخ دبوز يعني أن الرعية الرستمية كانت تتلقى التعاليم الإباضية من الخلفاء مباشرة.

المبحث الخامس: الشيعة في بلاد المغرب الإسلامي

المطلب الأول: ظهور الشيعة في المغرب الإسلامي

كذلك من المذاهب التي كانت سباقة إلى الوفود إلى بلاد المغرب الإسلامي والتغلغل بين أهله، المذهب الشيعي أو التشيع الذي عرف انتشاراً واسعاً هو الآخر، وقد أورد المقريزي رواية ذكر فيها أول من أدخل التشيع إلى بلاد المغرب الإسلامي، وهذا نص رواية المقريزي:

"وكانوا قد نفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بأبي سفيان، وتقدموا إليهما بالوصول إلى أقاصي المغرب والبعد عن المدن والمنابر، وقالوا لهما: ينزل كل واحد منكما بعيدا عن صاحبه وقولا: قد قيل لنا: اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها وأكرباها، حتى يجيء صاحب البذر، فنزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة تسمى مرمجنة، والآخر بسوجمار، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما، وماتا على قرب بينهما، فقال ابن حوشب لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي، وقد كان هاجر إلى ابن حوشب: يا أبا عبد الله، أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك. فبادر فإنها موطأة ممهدة لك، فخرج أبو عبد الله"[2].

ويذكر ابن الدواداري أن ذلك كان سنة خمس وأربعين ومائة، وذلك لما قال – أي الدواداري –: "وكان أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق بعث إلى المغرب فى سنة خمس وأربعين ومئة رجلين يعرف أحدهما بأبى سفيان والآخر بالحلوانى، وكان الحلوانى يقول:

(1) محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص361

(2) تقي الدين المقريزي، المصدر السابق (المقفى الكبير)، ج4، ص297

بعثت أنا وأبو سفيان فقيل لنا اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها وكرباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البلد فيجدها مذللة فيبدر فيها حبه"[1]

إذا صحت رواية المقريزي وابن الدواداري، يمكن القول أن التشيع ببلاد المغرب قد ظهر في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة

ويذكر ابن حوقل إلى ما يشير إلى تواجد المذهب الشيعي قبل اعتماده بصفة رسمية أيام الدولة العبيدية الفاطمية، يقول ابن حوقل: "وأهل السوس فرقتان مختلفتان مالكيون أهل سنة وموسويون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب على بن ورصند"[2]، غير أن المصادر في حدود ما بحثنا لم تتطرق إلى الفترة التي كان فيها ابن ورصند هذا، والذي يرجح أنه كان في بدايات الدولة العبيدية، وهذا من خلال بعض الاجتهادات التي اطلعت عليها فيما نشر من مقالات، والتي كانت متباينة في طرحها، الأمر الذي حال دون تجريح أي منها.

وعموماً يمكن الحكم على التواجد الشيعي بالمغرب من خلال الرواية التي نقلناها عن المقريزي وابن الدواداري والتي روى ما يماثلها الإمام الذهبي في سيره[3]، وعلى هذا الاعتبار يمكن أن نطمئن للحقيقة التاريخية التي مفادها أن تسرب المذهب الشيعي إلى بلاد المغرب الإسلامي كان في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة.

المطلب الثاني: دعاة وعلماء الشيعة بالمغرب

كان من أصعب المواضيع خلال البحث هو البحث عن علماء ودعاة التشيع بالمغرب، ذلك أنه لا توجد كتب أو مصادر أتت على ذكرهم أو تخصصت في الترجمة لهم، وهذا الأمر له أسبابه بطبيعة الحال، والتي من بينها انقراض التواجد الشيعي بالمغرب الأمر الذي يعني إهمال المؤلفات الشيعية وتلفها من جهة، وأن أمرهم لا يعني أهل السنة فلم يكن لعلماء

(1) أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار – مصر –، د ر ط، 1380هـ/ 1961م، ج6، ص113

(2) محمد بن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص91

(3) قال الإمام الذهبي: وبعث ابن حوشب دعاة إلى المغرب، فأجابته كتامة، فنفذ ابن حوشب إليهم أبا عبد الله ومعه ذهب كثير في سنة ثمانين ومائتين. (أنظر: شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص148)

السنة من داعٍ لحفظها من جهة أخرى، وهناك سبب آخر وهو مدعاة للغرابة ويتمثل في عدم اهتمام شيعة المشرق بنقل تراجم علماء مذهبهم بالمغرب رغم توافر المصادر التي ترجمت لعلمائهم ككتاب أعيان الشيعة للعاملي وغيره.

وعلى رغم قلة المصادر التي تطرقت لذكر دعاة الشيعة بالمغرب، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود إشارات في بعض التي التي أتت على ذكر بعض منهم، ولكن هذا الذكر كان بصفة شحيحة، فلم نجد خلال البحث من دعاة التشيع من ورد في ترجمته تآليف وكتب، وعلى أي حال سنذكر ما استطعنا جمعه في هذا الموضوع.

ومن شيوخ الشيعة بالمغرب الذين وقفنا على شيء من تراجمهم:

- **أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي:** قال عنه ابن الأبار: كان مع قودة الجيوش وخوضه الحروب عالماً أديباً شاعراً وهو الذي حارب جيش زيادة الله بن الأغلب وهزمه نائبا عن عبيد الله وناصراً لمذهبه وداعياً إلى دعوته وزحف[1]، وهو "أبو عبد الله المحتسب داعية العبيديين من الشيعة فإن المحتسب حج في بعض السنين واجتمع بمكة بحجاج كتامة من أهل المغرب فتعرف إليهم ووعدهم بظهور المهدي من آل البيت على يدهم ويكون لهم به الملك والسلطان فتبعوه على رأيه وصحبهم إلى بلادهم ورأس فيهم رئاسة دينية وقرر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا به ثم بايعوا مولاه عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين"[2] العماد الأصفهاني (ت 597 هـ): "وفيها (يقصد سنة 297هـ) خرج بالمغرب رجل يقال له أبو عبد الله المحتسب لله فهزم جيوش ابن الأغلب، فوصلوا إلى ميلة، وقتل الباقي من أصحابه، وغلب على المغرب، وهرب منه زيادة الله ومحمد بن الأغلب، وأخذ أبو عبد الله رجلاً يقال له عبيد الله، وهو المهدي يزعم أنه علوي، وأجلسه وبايعه ودعا له"[3]، ويصفه المقريزي (845هـ) بمعلم مذهب الباطنية، يقول المقريزي: كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية، وأعلن إمامة أهل البيت، ودعا

(1) محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة –، ط2، 1985م، ج1، ص194

(2) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد ، المرجع السابق ، ج1، ص238

(3) عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت –، ط1، 1423هـ/2002 ، ص211

للرضى من آل محمد على عادة الشيعة، وأطاعته قبائل كتامة بعد فتن وحروب، ثم اجتمعوا على تلك الدعوة"[1]

- **النعمان ابن محمد بن منصور القيرواني (ت 363هـ):** "كان من أعظم علماء الشيعة بالمغرب تولى القضاء للمعز لدين الله بالمغرب وقدم معه إلى مصر هو وبنوه"[2]، ذكره ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ثلاث وستين وثلاثمائة: وفيها النعمان بن محمد بن منصور القيرواني القاضي، أبو حنيفة، الشيعي ظاهرا، الزنديق باطنا، قاضي قضاة الدولة العبيدية، صنف كتاب "ابتداء الدعوة" وكتابا في فقه الشيعة، وكتبا كثيرة، تدل على انسلاخه من الدين، يبدل فيها معاني القرآن ويحرفها[3]
- **أبو عبد الله الأندلسي:** أبو عبد الله محمد بن حمدون بن الأندلسي، عم جعفر ويحيى أميري المسيلة أيام زمن المعز، نزل بداره أبو عبد الله الشيعي عند قدومه مع حجاج كتامة إلى أرض المغرب، وكان ذا فهم وحدَّة ومعرفة[4].
- **يحيى بن علي بن حمدون الجذامي بن الأندلسي:** وردت ترجمته في الحلة السيراء لابن الأبار، قال عنه – أي ابن الأبار –: وله ولأبيه ولأخيه جعفر بن علي رئاسة معروفة ونباهة في أيام العبيدية مذكورة وعلى بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها ابنه جعفر فعظم شأنه[5].

ومن الدعاة كذلك الذين ذكرهم إدريس عماد الدين (داعية يمني شيعي ت 872هـ): **"أبو المفتش"** و **"أبو القاسم الورفجومي"** و **"حُريث الجميلي"**[6]، وهؤلاء الثلاثة وأقصد أبو المفتش والورفجومي وحُريث الجميلي لم أقف لهم على ترجمة في كتب التراجم والطبقات، غير ما نقلته عن إدريس عماد الدين من كتابه تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب.

---

(1) تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط1، د س ط، ج1، ص52

(2) مصطفى محمد رمضان، دور الأزهر في الحياة المصرية، مطبعة الجبلاوي، ط1، 1406هـ/1986م، ص27

(3) عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، المصدر السابق، ج4، ص338

(4) إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م، ص86

(5) محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، المصدر السابق (الحلة السيراء)، ج1، ص305

(6) إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص،ص: 84، 86

المطلب الثالث: الدولة الفاطمية والمذهب الشيعي بالمغرب (296 – 567هـ)

لم يكن أبو عبد الله الشيعي داعية لمذهب عقدي فحسب، بل كان إضافة إلى دعوته حاملاً لمشروع سياسي بامتياز، تمثل وتجسد في تأسيس الدولة الفاطمية، وقد نقلنا في موضع سابق عند التعرض لترجمته قول ابن الأبار الذي اعتبره ممهداً لطريق عبيد الله المهدي لتأسيس دولته ببلاد المغرب الإسلامي، وقد ذكرت الروايات السنية كما الشيعية كيف كان انتقال أبو عبد الله الشيعي ووفوده على بلاد المغرب.

أما الرواية الشيعية فهي لإدريس عماد الدين التي أوردها في كتابه تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، وهذا نصها: "ولما وصل أبو عبد الله (الشيعي) مكَّة مع الحجيج، قضى حجه في جملتهم، وجعل أبو عبد الله يمشي بمنى، فمر على جماعة رجال من كتامة ممن حج تلك السنة، وهم في رحالهم، وفيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب الحلواني، فجلس أبو عبد الله إليهم فسمع منهم رجلين، وهما حريث الجميلي وموسى يذكران لأصحابهما فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فذكر شيئاً من ذلك معهما، فأقبل عليه جميعهم[...]، وسار معهم حتى انتهى إلى مصر، فأظهر لهم الرغبة في المقام هناك، فقالوا له – أي حجاج كتامة –: ما يقيمك ههنا وليست ببلدك ولا نرى شيئاً من التجارة معك؟ فقال: أطلب التعليم، فابتهجوا لذلك وقالوا: ما نرى بلداً واحداً أجدى عليك من التعليم في بلدنا، وجعلوا يخبرونه بتعظيم أهل بلدهم للمعلمين..."[1]

وفي رواية إدريس هذا ذكر لشخصين هما حريث الجميلي وموسى، ووصفهما بأنهما يذكران فضائل آل البيت ما يعني أنهما داعيتان من دعاة الشيعة بالمغرب، وهذا ما نستنتج من خلاله أن التشيع كان له حضور قوي بين أهل المغرب حتى قبل قيام الدولة الفاطمية.

وبالنسبة للرواية السنية وهي رواية مشابهة للرواية السابقة، والتي ذكرها تقي الدين المقريزي، فهذا نصها: "وذلك أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشعيي، سار إلى أبي القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن ذاذان الكوفي باليمن، وصحبه وصار من كبار أصحابه، وكان له علم وفهم ودهاء ومكر، فلما ورد على ابن حوشب موت

(1) إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص–ص: 84 – 85

الحلواني ورفيقه بالمغرب، قال لأبي عبد الله الشعيي: إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك.

فخرج أبو عبد الله إلى مكة، وقد أعطاه ابن حوشب مالا، فلما قدم سأل عن حجاج كتامة، فأرشد إليهم، واجتمع بهم، ولم يعرفهم قصده، وذلك أنه جلس قريبا منهم، فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت، فاستحسن ذلك، وحدثهم في معناه، فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته، فأذن لهم، وسألوه أين مقصده؟ فقال: مصر، ففرحوا بصحبته، فرحلوا، وهو لا يخبرهم بغرضه، وأظهر العبادة والزهد، فازدادوا فيه رغبة، وخدموه. وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية؛ فقالوا: ماله علينا طاعة، وبيننا وبينه عشرة أيام"[1]، انتهى كلام المقريزي.

من هنا يظهر لنا أن تأسيس الدولة العبيدية الفاطمية كان منطلقه مذهبياً محضاً، يقول عالم الجزائر الشيخ مبارك الميلي عليه رحمة الله: "تأسست الدولة العبيدية بالدعاية الدينية والحنكة السياسية اللتين كانتا لأبي عبد الله الشيعي وبالقيمة الحربية التي كانت لكتامة ووطنها وبسوء سياسة زيادة الله الثالث الذي قتل أباه وكثيرا من أهله وذويه، ابتدأ ابو عبد الله بتعليم المذهب الاسماعيلي ثم أعلن امامة الفاطميين وأخذ يذكر المهدي وقرب ظهوره"[2].

إذن لا اختلاف في شيعية الدولة العبيدية بناءً على ما سبق، غير أن هذا لا يكفي فلربما وجد فيها من التسامح ما يفضي إلى تعدد المذاهب فيها، فهل كان ذلك بالفعل عند العبيديين؟، لا لم يكن ذلك، بل "كانت تجبر الناس على العمل بمذهبها، فتشيع كثير من أهل العالم رغبة أو رهبة، وامتحن كثيرون من أجل ترك البسملة في الفريضة وترك "حي على خير العمل" في الاذان، وكانت لا تسمع في ولاتها من يشكو جورهم تأليفا لهم إذ لا غنى لها عنهم واضعافاً للرعية حتى تأمن ثورتها"[3]، وإجبار الناس على اعتناق مذهب التشيع والاعتقاد به يدل على أن هؤلاء الخلفاء العبيديون كانوا أبعد الناس عن الدين وعن القرآن الكريم وتعاليمهن إذ لو علموا ووعوا كتاب الله لقرأوا قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ

(1) تقي الدين المقريزي (اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء)، المصدر السابق، ج1، ص55

(2) مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص134

(3) نفسه، ص139

قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[البقرة: 256]، ويصف الدكتور حسين مؤنس فترة حكم عبيد الله المهدي بالظلم والجور، يقول حسين مؤنس: "حكم عبيد الله المهدي خمساً وعشرين سنة (297 – 322هـ) ثبَّت أثناءها قواعد بيته في أفريقية و المغرب الأوسط بالقوة العسكرية وجمع مالاً وافراً، وكان في حكمه بعيداً جداً عما كان الناس يتصورونه عن المهدي الذي يعيد العدل إلى الأرض، وقد أبغضه وأنكر أساليبه فقهاء المالكية وهم رؤساء الناس في أفريقية"[1]، والحاكم الظالم لا يمكن إلا أن يكون ناقماً على كل من يخالفه مذهبياً وسياسياً.

ومن بطش العبيديين وظلمهم أن أسلوب التهديد والترويع كان صريحاً مباشراً، وهذا الذي يذكره ابن الأبار عن حكم عبيد الله الشيعي، يقول ابن الأبار: "لما تغلب عبيد الله الشيعي كتب إلى أهل المغرب يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدبر بإمامته وكتب بمثل ذلك إلى سعيد بن صالح وكان والياً على نكور وما إليها من أعمال المغرب لبنى مروان وكتب في أسفل كتابه أبياتا كثيرة منها:

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا
وأعلو بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عفوا وأملؤها عدلا

قال فأجابه رجل من شعراء الأندلس من أهل طليطلة يعرف بالأخمش أمره سعيد بن صالح بذلك:

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا
وما أنت إلا جاهل ومنافق تمثل للجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى[2]

كما يمكن أن نرى التعصب العبيدي لمذهب التشيع من زواية تعامل الخلفاء العبيديين مع فقهاء المالكية، الذين كانوا الضحايا الأوائل والمستهدفين من طرف الخلفاء الفاطميين،

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص148

(2) محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، المصدر السابق (الحلة السيراء)، ج1، ص–ص: 193 – 194

فقد "لقيت المدرسة القيروانية من جور العبيديين واضطهادهم الكثير"[1]، ومن فقهاء المالكية الذين تعرضوا لظلم العبيديين "حسين بن مفرج، مولى مهرية بنت الأغلب، أبو القاسم، المحدث، الفقيه، كان ممن امتحن من المالكية على يد قاضي العبيديين ابن عبدون، فنقل هو و أبو عبد الله السدري إلى المهدية، فضربا ثم قتلا، ثم صلبا لكلام حفظ عليهما في عبيد الله المهدي"[2]، ومنهم كذلك ابن البردون[3] وأبو بكر بن هذيل، يقول الإمام الذهبي: "فرفعوا إلى أبي عبد الله الشيعي: أن ابن البردون وأبا بكر بن هذيل يطعنان في دولتهم، ولا يفضلان عليا، فحبسهما، ثم أمر متولي القيروان أن يضرب ابن هذيل خمس مائة سوط، ويضرب عنق ابن البردون، فغلط المتولي فقتل ابن هذيل، وضرب ابن البردون، ثم قتله من الغد، وقيل لابن البردون لما جرد للقتل: أترجع عن مذهبك؟ قال: أعن الإسلام أرجع؟ ثم صلبا في سنة تسع وتسعين ومائتين"[4]

ونقطة مهمة في جواب ابن البردون وذلك في قوله "أعن الإسلام أرجع"، فهي تحمل إشارة على أن من فقهاء المالكية من كان لا يرى إسلام العبيديين أصلاً، بل لا يرون فيهم إلا ملة خارجة عن الدين لا علاقة لها بالإسلام والمسلمين.

ونختم معاناة أهل السنة وما لقوه من تعذيب وشدة الأمر عليهم بوصف القاضي عياض لحالهم: "كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد، في حالة شديدة من الاهتضام والتستر، كأنهم ذمة ــ تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة، ولما أظهر بنو عبيد أمرهم، ونصبوا حسيناً الأعمى السباب لعنه الله تعالى، في الأسواق، للسب بأسجاع لقنها، يوصل منها الى سب النبي ﷺ، في ألفاظ حفظها، كقوله لعنه الله: العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى، وغير ذلك، وعلقت رؤوس الأكباش والحمر، على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة،

(1) محمد إبراهيم علي، اصطلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث – الإمارات العربية المتحدة –، ط1، 1421هـ/2000م، ص73

(2) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج4، ص352

(3) ابن البردون: قال عنه الذهبي: الإمام، الشهيد، المفتي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن البردون الضبي مولاهم، الإفريقي، المالكي، تلميذ أبي عثمان بن الحداد. (أنظر: شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص215)

(4) شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص216

مكتوب فيها أسماء الصحابة، اشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قتل، ومثل به"[1].

ومسألة مهمة وبها نختم هذا العنوان وهي إدعاء نسب الفاطميين وأنه متصل بالنبي ﷺ، وهذه فرية كذَّبها أكثر العلماء، ونكتفي بقول ابن خلكان: والجمهور على عدم صحة نسبهم وأنهم كذبة أدعياء لا حظ لهم في النسبة المحمدية أصلاً"[2]

(1) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المصدر السابق، ج5، ص303

(2) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت–، ط1، 1419هـ/1998م، ج3، ص541

خاتمة الفصل

في نهاية الفصل الثاني الذي تعرفنا فيه على المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي نكون قد خرجنا ببعض النتائج المهمة، والتي هي على النحو التالي:

- أن المذاهب العقدية التي عُرفت في التاريخ الإسلامي قد ظهرت كذلك ببلاد المغرب الإسلامي.
- أنه كان للجانب السياسي أو للسلطة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي دور في فرض حاللة معينة من التمذهب العقدي.
- أن أهل المغرب كانوا في الأصل على مذهب أهل الحديث قبل وفود باقي المذاهب العقدية إليهم

الخاتمة

الحمد لله أولا وأخيراً، ابتداءً وانتهاءً، الذي يسَّر تمام هذا العمل واختتامه.

في ختام البحث وبعد الرحلة الطويلة التي غصنا خلالها في أعماق تاريخنا الإسلامي، باحثين في ثناياه عن موضوع كان ولازال يشكل أهم القضايا التي تشغل الباحثين والدارسين لتاريخ المذاهب والمهتمين بباب العقائد، وليس البحث في موضوع المذاهب العقدية بالأمر الهيِّن، بل يحتاج الباحث فيه إلى أدوات متنوعة، ومعارف مختلفة، في علوم الشريعة، وعلم الكلام، والدارس لهذا الموضوع دراسة تاريخية ينبغي له أن يكون متمكناً في تخصصه، عارفاً بأسليب التحقيق ونقد الروايات وتمحيصها، والعلم بصحيحها من سقيمها، والتمييز بين رجال الرواية التاريخية، ومعرفة المُجرح منهم والمُعدَّل.

وقد كان العمل في بحثنا هذا على تحقيق الروايات والتأكد من مصدرها، وعدالة ناقلها قبل الاستشهاد بها واعتمادها كمعلومة موثوقة، وكان الاجتهاد فيها قدر الإمكان، والغاية كل الغاية أن ننقل الحقيقة العلمية التاريخية كما هي وبكل موضوعية دون أن نتأثر بما تميل إليه الذات من ميولات مذهبية عقائدية.

ثم إنه ولا شك أن نخرج في نهاية البحث بجملة من النتائج التي كان اختيار البحث من أجل بلوغها وتأكيدها أو نفيها، طبقاً لما تمليه الحقيقة التاريخية، وما نقلته المصادر الموثوقة، لمتقدمي المؤرخين والعلماء، ومن تكلم في موضوع المذاهب العقدية على طول التاريخ الإسلامي.

نتائج البحث:

1- أن بلاد المغرب الإسلامي كما المشرق قد عرفت ظهور المذاهب العقدية منذ بواكير نشأة هاته المذاهب، بل إن نشأتها بالمغرب الإسلامي كانت في حياة من أسسوا تلك

المذاهب بالمشرق، وهذا الذي يعطينا تصوّراً واضحاً عن حالة التواصل المستمر بين المغرب الإسلامي ومشرقه.

2- أن أول المذاهب التي اعتقد بها أهل المغرب هو مذهب أهل الحديث، وقد رأينا خلال البحث ردود فعل أهل المغرب المعتقدين بعقيدة أهل الحديث تجاه المذاهب العقائدية الدخيلة والوافدة عليهم، كما رأينا شبه إجماع من كبار العلماء على أن اعتقاد المغاربة بمذهب أهل الحديث كان هو السائد.

3- أنه كان للسلطة السياسية في بعض الدول التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي دور في بسط وفرض مذهب معين على الرعية، كفرض المذهب الأشعري على يد المهدي بن تومرت، والمذهب الإباضي على يد الخلفاء الرستميين، والتشيع على يد الفاطميين العبيديين.

4- أن التنوع المذهبي العقائدي في بلاد المغرب كان موجوداً، كالتواجد الاعتزالي جنباً إلى جنب مع المذهب الإباضي في زمن الدولة الرستمية، التي وإن تبنت المذهب الإباضي رسميا إلا أن ذلك لم يمنع من تواجد الاعتزال، وعلى طرف نقيض نجد صورة العداء المذهبي الذي وصل إلى حد قتل المخالف، وهنا نذكر محنة أهل السنة والجماعة في عهد الدولة العبيدية الشيعية.

5- النتيجة الأخيرة وبها نختم، وهي أن بلاد المغرب الإسلامي قد عرفت الإسلام النقي المجرد من الاختلافات المذهبية على يد الصحابة رضوان الله عليهم، فكان إسلام المغاربة الأول إسلاماً خالياً من شوائب التمذهب، ما يعني أن جميع المذاهب العقدية هي مذاهب طارئة في تاريخ المغرب الإسلامي، ولم يكن أهل المغرب يدينون بأي مذهب من المذاهب قبل نشأتها ووفودها إليهم.

التوصيات:

1- تخصيص بحث أكثر توسعاً والعمل على أن يكون هذا العمل كتاباً متخصصاً، يجد فيه الباحث في موضوع المذاهب العقدية ببلاد المغرب الإسلامي ما يحتاج إليه من مادة علمية.

2- رأينا خلال البحث علماء جزائريين قلَّ ما نسمع عنهم رغم رسوخهم ونبوغهم العلمي، والذين نرى أنه من الواجب تخصيص دراسات جادة تعتني بسيرتهم وأثرهم في الأمة، وأن يكون في ذلك تعريف بهم للأجيال القادمة.

3- إدراج مقياس جديد ضمن التخصص وهو مقياس "الفلسفة وعلم الكلام" فقد رأينا خلال بحثنا أن هناك بعض المفاهيم والمصطلحات التي ينبغي للطالب أن يكون على معرفة ودراية تامة بها، حتى لا يكون الجهل بها عائقاً أمامه عند البحث في موضوع هام كهذا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، د ر ط، د س ط

2- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي- القاهرة ، ط2، 1408هـ/1988م

3- ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تح: مروان العطية، دار المنصور – الرباط –، د ر ط،، 1973م

4- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002م

5- ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد إلى علم العقائد، تح: جمال علال البختي، مطبعة الخليج العربي – الرياض –، ط1، 1425هـ/2004م

6- ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – تونس –، ط1، 2009م

7- ابن عبد البر النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن –، ط1، 1439هـ/2017م.

8- ابن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط1، 1414هـ/ 1994م

9- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال، دار الثقافة – بيروت–، ط3، 1983م

10- يوسف بن موسى الضرير، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، تح: سمير قوبيع وزميليه، دار أبي رقراق، ط1، 1435هـ/2014م

11- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية –بيروت–، د ر ط، 1411هـ/1990م

12- أحمد بن يحيى الونشريسى، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، تح: أحمد بو طاهر الخطابي، مطبعة فضالة – المغرب –، د ر ط، 1400هـ/1980م

13- شمس الدين أحمد بن محمد (ابن خلكان)، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت –، د ر ط، د س ط

14- أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، فتاوى البرزلي (جامع مسائل الأحكام)، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م

15- خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1374هـ/1955م

16- هبة الله اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – المملكة العربية السعودية –، ط8، 1423هـ/2003م

17- أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، اعتقاد أئمة الحديث، تح: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة – الرياض –، ط1، 1412هـ

18- أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة –، ط1، 1413هـ/1993م

19- أحمد بن الحسين البيهقي، مناقب الشافعي، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة التراث – القاهرة –، ط1، 1390هـ/1970م

20- أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار – مصر –، د ر ط، 1380هـ/ 1961م

21- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر–، د ر ط، 1970م

22- يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط2، 1402هـ/1982م

23- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، د ر ط، 1992م
24- أبو عبيد القاسم بن سلام، الإيمان، تح: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط1، 1421هـ/2000م
25- أبو عمار عبد الكافي، الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، تح: عمار الطالبي، موفم للنشر – الجزائر –، د ر ط، 2013م
26- أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة دار السعادة – مصر –، د ر ط، 1394هـ/1974م
27- أبوبكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1407هـ/1987م
28- أحمد بن حنبل، أصول السنة، دار المنار – المملكة العربية السعودية –، ط1
29- أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث – قسنطينة –، د ر ط، ، 1394هـ/1974م
30- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي وداود بن إبراهيم التلاتي، مقدمة التوحيد وشروحها، تح: إبراهيم اطفيش، دار الحكمة –لندن–، ط2، 1436هـ/2016م
31- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، السيَّر، تح: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، 1412هـ/1992م
32- أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار – المدينة المنورة –، ط1، 1405هـ/1985م
33- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية – بيروت –، ط1، 1407هـ/1987م
34- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ر ط، 1399هـ/1989م
35- أحمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، تح: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير – دمشق –، ط2، 1419هـ/1999م

36- إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م

37- إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تح: أبو اليمين المنصوري، دار المنهاج، ط1، 1423هـ/2003م

38- إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار المعرفة – بيروت –، ط4، 1419هـ/1998م

39- برهان الدين إبراهيم اللقاني، عمدة المريد لجوهرة التوحيد، تح: بشير برهان، دار الكتب العلمية، د ر ط، د س ط

40- تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، ط2، 1413هـ

41- تبغورين بن داوود الملشوطي، الأصول العشرة عند الإباضية، تح: ونيس الطاهر عامر، مكتبة الجيل الواعد، ط1، 1426هـ/2005م

42- تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط1، د س ط

43- تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي – بييروت –، ط1، 1427هـ/2006م

44- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت –، ط3، 1414هـ

45- حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، تح: هنري كربين، معهد إيران وفرنسا للبحث العلمي، د ر ط، 1347هـ/1969م

46- خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم – دمشق –، ط2، 1397هـ

47- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، تق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ/1985م

48- الشيخ الصدوق، الاعتقادات، تح: عصام عبد السيد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط1، 1413هـ

49- صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث – بيروت –، 1460هـ/2000م

50- طاهر بن محمد الأسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان –، ط1، 1403هـ/1983م

51- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محموط الأرناؤوط، دار ابن كثير – بيروت –، ط1، 1406هـ/1986م

52- عبد الرحمن بن أحمد الأيجي، المواثق في علم الكلام، عالم الكتب – بيروت –، د ر ط، د س ط

53- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر – بيروت –، ط1، 1401هـ/1981م

54- عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، د ر ط، 1415هـ

55- عبد الرحمن بن محمد الخياط، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، تح: نيبرج، مطبعة دار الكتب المصرية، د ر ط، 1344هـ/1925م

56- عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، مدرسة الإلهيات – إسطنبول –، ط1، 1346هـ/1928م

57- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيروت –، ط2، 1977م

58- عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، الأنساب للسمعاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية – الهند –، ط1، 1382هـ/1962م

59- عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، مقدمة أبي زيد القيرواني، تح: بكر بن عبد الله، دار العاصمة، د ر ط، د س ن

60- عبد الله بن أبي عبد الله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1951م

61- عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، عيون المسائل والجوابات، تح: حسين خانصو، دار الفتح، ط1، 1439هـ/2018م

62- عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية – بيروت –، ط1، 1439هـ/ 2017م

63- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تح: محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي، د ر ط، 1369هـ/1950م

64- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، تح: فوقية حسين محمود، عالم الكتب – لبنان –، ط2، 1407هـ/1987م

65- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهروي، المكتبة العصرية – بيروت –، ط1، 1426هـ/2006م

66- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة –، د ر ط، د س ن

67- علي بن الحسن بن هبة الله، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي – بيروت –، ط3، 1404هـ

68- عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية – بيروت –، ط1، 1423هـ/2002م

69- عمروس بن فتح النفوسي، أصول الدينونة الصافية، تح: حاج أحمد بن حمو كروم، وزارة التراث القوي والثقافة – مسقط – عمان، ط1، 1420هـ/1999م

70- القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، تح: فيصل بدير عون، لجنة التعريب والنشر –جامعة الكويت–، ط1، 1998م

71- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة –المغرب–، ط1، د س ط

72- محمد باقر المجلسي، الاعتقادات، تح: مهدي الرجائي، مكتبة العلامة المجلسي، ط1، 1409هـ

73- محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1386هـ

74- محمد بن أحمد السفاريني، لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، مجلة المنار الإسلامية – مصر –، ط1، 1324هـ

75- محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي أبو العرب، المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم – الرياض –، ط1، 1404هـ/1984م

76- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – دمشق –، ط5، 1414هـ/1993م

77- محمد بن الحسن بن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تح: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 1427هـ/2006م

78- محمد بن حوقل، صورة الأرض، دار صادر – بيروت –، د ر ط، 1938م

79- محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا، دار المعرفة – بيروت –، ط3، 1414هـ/1993م

80- محمد بن عبد الله الأندلسي ابن أبي زمنين، أصول السنة، تح: عبد الله بن محمد عبد الرحيم، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1415هـ

81- محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان –، د ر ط، 1415هـ/ 1995م

82- محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، أصول السنة لابن أبي زمنين، تح: عبد الله بن محمد بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة –، ط1، 1415هـ

83- محمد بن علي الطيب البَصْري، المعتمد في أصول الفقه، دار الكتب العلمية – بيروت –، ط1، 1403هـ،

84- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط1، 1996م

85- محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي الرعيني، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412هـ/1992م

86- محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، دار المرتضى – بيروت –، ط1، 1426هـ/2005م

87- محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، تح: أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421هـ/2000م

88- مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، تح: محمد ذهني أفندي وزملاؤه، دار الطباعة العامرة، د ر طن 1334هـ

89- موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تح: حسين اتاي، مكتبة الثقافة الدينية، د ر ط، د س ط

90- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر – بيروت –، ط2، 1995م

91- يوسف إبراهيم الورجلاني، الدليل والبرهان، تح: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة – سلطنة عمان –، ط2، 1427هـ/2006م

المراجع:

1- إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب، دار قرطبة، ط1، 1427هـ/2006م

2- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت –، ط1، 1426هـ/2005م

3- ابن ادريسو مصطفى بن محمد، الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعية التراث –الجزائر–، د ر ط، 1424هـ/2003م

4- نايف المنصوري، الدليل المغني لشيوخ أبي الحسن الدارقطني، دار الكيان – المملكة العربية السعودية –، ط1، 1428هـ/2007م

5- أحمد الحسيني، تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه، مكتبة آية الله المرعشي – قم –، ط1، 1410هـ

6- امحمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، تح: مصطفى بن ناصر وينتن، جمعية التراث – غرداية –، ط1، 1422هـ/2001م

7- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، جمعية التراث – القرارة – الجزائر، ط2، 1414هـ/1993م

8- البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م

9- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي – مصر –، ط1، 1980م

10- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، د ر ط، 2004م

11- حيدر اليعقوبي، الإيمان حقيقته درجاته آثاره من أبحاث سماحة المرجع الديني السد كمال الحيدري، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة – بغداد –، د ر ط، 1438هـ/2017م

12- خالد الرويتع، التمذهب دراسة نظرية نقدية، دار التدمرية – الرياض –، ط1، 1434هـ/2013م

13- خالد كبير علال، الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري، دار المحتسب، ط1، 2008م

14- خالد كبير علال، الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، دار الإمام مالك – البليدة –، ط1، 1423هـ/2005م

15- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م

16- رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، مسقط، د ر ط، 1410هـ/1990م

17- سعيد بن وهف القحطاني، نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير – الرياض –، د ر ط، د س.

18- سعيد عبد اللطيف فودة، حاشية شرح الخريدة، دار النور المبين للدراسات والنشر، ط1، 1434هـ/2013م

19- سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة – لندن –، ط1، 2005م

20- سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الاستقامة، د ر ط، 1357هـ/1938م

21- شعبان العودة، فتح رب البرية في تيسير قراءة الألفية، دار اللؤلؤة، ط1، 1442هـ/2021م

22- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء –، د ر ط، 1954م

23- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف – مصر –، ط1، 1960–1995م

24- الطيب بن عمر بن الحسين، السلفية وأعلامها في موريتانيا، دار ابن حزم – بيروت –، ط1، 1416هـ/1995م

25- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت –، ط2، 1400هـ/1980م

26- عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، نح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم – بيروت – ، ط2، د س ط

27- عبد العزيز بن إبراهيم الثميني، معالم الدين، وزارة التراث القومي والثقافة، د ر ط، 1407هـ/1986م

28- عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، المغربية في شرح العقيدة القيروانية، دار المنهاج – الرياض –، ط1، 1438هـ

29- عبد القادر محمد الحسين، الزبدة الهنية في شرح الخريدة البهية، دار البيروتي، ط1، 1439هـ/2018م

30- عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، دار الأندلس الخضراء – جدة –، ط1، 1421هـ/2000م

31- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي للكتاب – المغرب –، ط1، 2018م

32- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، د د ن، ط2، 1380هـ

33- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1403هـ/1983م

34- عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب – تونس –، ط1، 1406هـ/1986م

35- عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت–، ط1، 1419هـ/1998م

36- عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، دار ابن الجوزي–القاهرة–، ط1، 1428هـ/2007م

37- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، ط3، 1429هـ/2008م

38- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي – بيروت –، د ر طن د س ط

39- فضل حسن عباس، التفسير والمفسرون، دار النفائس – الأردن –، ط1، 1437هـ/2016م.

40- كمال الحيدري، التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته، دار الفرقد، د ر ط، د س ط

41- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر –، د ر ط، 1406هـ/1986م

42- محسن آل عصفور، موجز عقائد الإمامية، رئاسة الأوقاف الجعفرية، د ر ط، د س ط

43- محمد إبراهيم علي، اصطلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث – الإمارات العربية المتحدة –، ط1، 1421هـ/2000م

44- محمد إدريس الطيب، الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة، كتاب ناشرون – بيروت –ن د ر ط، د س ط

45- محمد إسماعيل المقدم، المهدي، الدار العالمية – الإسكندرية –، ط11، 1429هـ/2008م

46- محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، دار الأضواء – بيروت – ، ط1، 1410هـ/1990م

47- محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة، دار النوادر –سوريا–، ط1، 1431هـ/2010م

48- محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت –، ط2، 1980م

49- محمد بن موسى بابا عمي وزملاؤه، معجم أعلام الإباضية، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط2، 1421هـ/2000م

50- محمد حسين المظفري، تاريخ الشيعة، مكتبة بصيرتي، د ر ط، د س ط

51- محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، منشورات مكتبة الأمين – النجف –، د ر ط، 1377هـ/ 1968م

52- محمد زينهم محمد عزب، الإمام سحنون، دار الفرجاني – القاهرة –، د ر ط، 1992م

53- محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط1، 1424هـ/2003م

54- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، د ر ط، 2010م

55- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي – بيروت –، ط2، 1994م

56- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار – القاهرة –، ط1، 1408هـ/1988م

57- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، ط1، 2009م

58- مصطفى محمد رمضان، دور الأزهر في الحياة المصرية، مطبعة الجبلاوي، ط1، 1406هـ/1986م

59- ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مكتبة الرشد – الرياض–، ط3، 1421هـ/2000م

60- نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروقن ط3، 1418هـ/1998م.

61- نجوان أبوبكر محمد، تاريخ إفريقية السياسي والحضاري، مكتبة مدبولي – القاهرة –، ط1، 2013م

المقالات:

1- بوقنادل عبد اللطيف، إسهامات علماء تلمسان في ترسيخ عقيدة الإمام الأشعري في القرن التاسع الهجري، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، مج15، عد2، 2022م

2- زيان فطيمة وبخدة طاهر، دور المعتزلة في التطور الفكري ببلاد المغرب الأوسط، **مجلة أنثروبولوجية الأديان**، مج: 19، عد02، ت ن 2023/06/05

3- سبع قادة وعفيف عيسى، أثر الإمام السنوسي في تجديد ونهضة العقيدة الأشعرية، **مجلة عصور الجديدة**، مج10، عد4، ديسمبر 1442هـ//2020م

4- محمد عبد الحليم بيشي، **الاعتزال في الغرب الإسلامي**، كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر 1–، بحوث جامعة الجزائر1، العدد 09، الجزء الأول ، د ت ن

فهرس الآيات

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ 59
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.....70
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فا عْبُدُونِ﴾ ..... ر
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ 47
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.....58
﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.....69
﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.....65
﴿لَا إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾.....122
﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾.....47
﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَث ٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.....48
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ 59
﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾.....47
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ 69
﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝
بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ 42
﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.....47
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.....19
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 19
﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ 47
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.....42

فهرس الأحاديث

أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي 42
أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي 19
إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها .....ذ
إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .....ر
بلغوا عني ولو آية 20
تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة .....ذ

فهرس الأعلام

أبا جعفر بن هارون البغدادي.....95
إبراهيم اللقاني المالكي 56
إبراهيم النظَّام 50
إبراهيم الورجلاني..... 64, 65, 136
إبراهيم بن الأغلب 99
إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي.....102
ابن أبي الجواد.....96, 99
ابن أبي زمنين. 39, 42, 80, 81, 84, 85, 135
ابن أبي زيد القيرواني.....38
ابن أبي عَرُوبة.....37
ابن البردون.....123
ابن الروندي 46, 53, 133
ابن تومرت 81, 91, 104, 105, 106
ابن جريج 36, 37
ابن حزم..... 68, 90, 138
ابن حوشب 116, 117, 120, 121
ابن خياط.....46
ابن شهاب 36, 37
ابن شهاب الزهري 36, 37
ابن عساكر 52, 53, 68, 69, 103
ابن غانم 99
ابن مسرة..... 86, 95
أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير..... 59, 61, 130
أبو الحسن الطنجي اليفرني 107
أبو الحسن القابسي 102, 103
أبو الخطاب المعافري 111
أبو القاسم الورفجومي 119
أبو المفتش 119
أبو الهذيل العلاَّف.....49
أبو الوليد الباجي 103
أبو بكر بن عبد المؤمن المكي.....102
أبو بكر بن هذيل 123
أبو عبد الله الأندلسي.....119
أبو عبد الله السدري.....123
أبو عبد الله الشيعي.... 118, 119, 120
أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني 108
أبو عبيد بن سلام.....41
أبو عثمان سعيد العقباني 107
أبو عمر عثمان السلالجلي.....104
أبو عمران الفاسي 102

أبو محرز 99
أبو محمد الأصيلي الأندلسي 103
أبو يعقوب الوارجلاني 114
أبوبكر الإسماعيلي 39
أبوبكر الصديق.....20
أبي إسحاق المعروف بالعمشاء 96
أبي الحسن القابسي 88
أبي الحسن علي بن إسماعيل
الأشعري 51
أبي خليفة الجُمحي 52
أبي عمر الطلمنكي 86
أبي ميمونة دراس بن اسماعيل
الجراوي.....88
أحمد بن حنبل 34, 42, 131
أحمد بن عبد الله الحبيبي القرطبي 95
أحمد بن عبد الله الزواوي
الجزائري 108
أحمد بن محمد المالكي الصاوي 57, 60, 61, 131
أحمد بن نصر الداودي التلمساني 85
إسحاق بن محمد بن عبد الحميد
الأوربي 97
إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني 40, 41, 42, 132
اطفيش...63, 64, 65, 66, 131, 136
الأسفرييني.....34
الإمام مالك 35, 81, 87, 88, 90, 91, 103, 130, 137
الأوزاعي 40
الأيجي.....59, 133
الباقلاني..... 58, 102, 103, 131
البرزلي 108, 109, 130
البلخيط, 43, 45, 46, 47, 48, 49, 53, 93, 94, 95, 133
البيهقي..... 35, 54, 55, 130
الثميني.....64, 138
الجبائي 47, 52, 53
الجويني . 49, 54, 58, 59, 60, 106, 108, 134
الحسن الأشعري 50, 51, 52, 53, 54, 58, 101, 102, 103, 108, 130, 134, 135
الحسين بن عبد الله الأذري 102
الحلواني..... 116, 120, 121
الذهبي ... ض, 19, 23, 36, 37, 40, 41, 44, 47, 48, 52, 53, 54, 68, 72, 84, 85, 117, 123, 132
الزمخشري 48
الزهري 36, 37
السنوسي 107
الشافعي 35, 40, 41, 130
الشماخي 62, 63, 113, 131

الشهرستاني ... 34, 35, 43, 45, 49, 51, 54, 67, 68, 135
الشيخ الهواري 63
الشيخ شريفي 63
العجلي..... 83, 131
القاضي عبد الجبار 47, 93, 134
القاضي عياض..... 85, 86, 91, 96, 123, 124, 134
الكليني..... 68, 69, 135
المازندراني..... 75, 135
المبارك الميلي 81
المجلسي 72, 74, 75, 134, 136
المسيلة 119
المعز بن باديس 91, 92
النبي ﷺ 19, 34, 43, 68, 69
النعمان ابن محمد بن منصور القيرواني 119
الورجلاني 65
امحمد بن يوسف اطفيش 63, 66
بالحلوانى..... 116
بالحلواني..... 116
بشير الرَّحال..... 93
بقي من مخلد 95
بكر حماد بن التاهرتي 83
بن أبي الجواد 89, 96
جابر بن زيد 62, 66, 115
جابر بن عبد 19, 69
جرجير 23, 24
حُريث الجميلي 119
حسين بن مفرج 123
خارجة بن حذافة السهمي 23
خليل بن عبد الملك الغفلة 95
خليل بن عبد الملك بن كليب 98
خمير السبتي... 55, 102, 103, 104, 129
داود بن علي بن محمد الأصفهاني....34
دراس بن إسماعيل..... 88, 102
زروق 106, 139
سحنون .. 36, 82, 83, 88, 89, 113, 140
سعيد بن الحداد 88, 89
سفيان الثوري 34, 35
سلامة بن سعيد 111
سليمان الباروني 61, 100, 101, 110, 137
سليمان بن أبي عصفور الحنفي 97
صحار العبدي 66
طارق بن زياد..... 26
عامر بن علي بن عامر بن يسفاو ...113
عامر بن محمد بن سعيد القيسي..... 88
عباد بن سليمان..... 50
عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى .95
عبد البر ... 36, 37, 38, 80, 82, 84, 85, 86, 93, 98, 129

عبد الجبار بن معن 110
عبد الرحمن بن حبيب الفهري 110
عبد القاهر البغدادي ,59 ,55 ,58 ,51
60, 133
عبد الله ابن سبأ .....71 ,70
عبد الله اللمطي 113
عبد الله بن إباض المقاعسي المري
التميمي 62
عبد الله بن أبي السرح..... 24 ,23 ,19
عبد الله بن الحارث ..... 93 ,92 ,36
عبد الله بن الزبير ..... 24 ,23
عبد الله بن سبأ 70
عبد الله بن سعد..... 72 ,26 ,24 ,23
عبد الله بن سعد بن أبي السرح 24
عبد الله بن سعد بن أبي سرح.....23
عبد الله بن نافع بن الحصين 26
عبد الله بن نافع بن عبد القيس 26
عبد الملك بن مروان 62
عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن
رستم 100
عبيد الله المهدي ..... 123 ,122 ,118
عثمان بن عفان ..... 71 ,26 ,20 ,19
عقبة بن نافع.....19
على بن ورصند.....117
عمر بن الخطاب ..... 109 ,21
عمرو بن العاص ..... 23 ,21 ,20
عمروس بن فتح المساكني النفوسي 112
غيلان الدمشقي.....49
كُسيلة 25
مالك بن أنس..... 104 ,36 ,34
محمد بن إدريس الشافعي 34
محمد بن عبد الوهاب الجبائي 50
محمد بن عمر بن لبابة القرطبي 95
محمد رضا المظفر ..... 140 ,73 ,72
مسلم بن أبي كريمة ..... 115 ,111
معاوية بن أبي سفيان 62
معاوية بن خديج.....24
معبد الجهني 49
موسى بن نصير 25
نهر مينة.....100
هشام الفوطي 50
واصل بن عطاء .... ,49 ,45 ,44 ,43
51, 92, 94
يحيى بن علي بن حمدون الجذامي..119
يزيد بن صفوان المعافري 110
يزيد بن معاوية.....62
يغلا بن زلتاف الوسياني 112
يوسف بن تاشفين 90
يحيى بن عبد الله بن بكير 21

فهرس الأماكن

إفريقية..... 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 88, 89, 91, 111, 121, 122, 134, 140
الإسكندرية..... 21, 90, 139
الأندلس.... ط, 26, 59, 84, 86, 88, 95, 98, 100, 103, 114, 122, 129, 130, 138
البيضاء 81, 94, 138
الجزائر.... ط, 63, 64, 65, 81, 85, 93, 94, 115, 121, 131, 136, 138, 139, 141
السوس 25, 93, 117
القيروان... 24, 25, 83, 88, 96, 97, 99, 110, 114, 123, 133, 140
الليث بن سعد 21
المغرب الإسلامي أ, 80, 92, 96, 97, 98, 100, 103, 105, 110, 116, 117, 120
برقة..... 20, 21, 22, 23
تيهرت..... 83, 101, 113, 115
زماتة 94
زناتة.....100
سجلماسة 94
طرابلس 21, 23, 110
طنجة ... 22, 26, 94, 95, 101, 114
غدامس 24
كتامة.. 116, 117, 118, 119, 120, 121
مزاتة 94, 113
مستغانم.....93
ميلة 118
نفوسة..... 21, 112, 113, 115
وادي ميزاب.....64, 93
وهران.....93
المغرب الأوسط... 25, 83, 94, 100, 122, 141

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير ..... أ
إهــداء ..... ب
مقدمة ..... ذ
تمهيد 18
الفصل الأول: التاريخ العام للمذاهب العقدية 31
المبحث الأول: أهل الحديث 34
المطلب الأول: مفهوم أهل الحديث 34
المطلب الثاني: التاريخ العام لأهل الحديث 35
المطلب الثالث: أصول عقيدة أهل الحديث 39
المبحث الثاني: المعتزلة 43
المطلب الأول: مفهوم المعتزلة 43
المطلب الثاني: التاريخ العام للمعتزلة 43
المطلب الثالث: أصول عقيدة المعزلة 45
المبحث الثالث: الأشاعرة 51
المطلب الأول: مفهوم الأشاعرة 51
المطلب الثاني: التاريخ العام للأشاعرة 52
المطلب الثالث: أصول عقيدة الأشاعرة 54
المبحث الرابع: الإباضية 61
المطلب الأول: مفهوم الإباضية 61
المطلب الثاني: التاريخ العام للإباضية 62

المطلب الثالث: أصول الإباضية 63
المبحث الخامس: الشيعة 67
المطلب الأول: مفهوم الشيعة 67
المطلب الثالث: أصول الشيعة 71
الفصل الثاني: المذاهب العقدية في بلاد الغرب الإسلامي 77
المبحث الأول: أهل الحديث في بلاد المغرب الإسلامي 80
المطلب الأول: مذهب أهل الحديث ببلاد المغرب الإسلامي 80
المطلب الثاني: علماء أهل الحديث في بلاد المغرب 82
المطلب الثالث: دول الغرب الإسلامي التي اعتقدت عقيدة أهل الحديث 87
المبحث الثاني: الاعتزال في بلاد الغرب الإسلامي 92
المطلب الأول: دخول مذهب المعتزلة إلى بلاد المغرب الإسلامي 92
المطلب الثاني: شيوخ المعتزلة في المغرب الإسلامي 96
المطلب الثالث: مذهب الاعتزال ودول المغرب الإسلامي 98
المبحث الثالث: الأشاعرة في بلاد الغرب الإسلامي 101
المطلب الأول: المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي 101
المطلب الثاني: شيوخ الأشاعرة في بلاد المغرب الإسلامي 103
المطلب الثالث: دول المغرب الإسلامي التي اعتقدت بمذهب الأشاعرة 105
المبحث الرابع: الإباضية في الغرب الإسلامي 110
المطلب الأول: تاريخ الإباضية في المغرب الإسلامي 110
المطلب الثاني: شيوخ الإباضية بالمغرب الإسلامي 112
المطلب الثالث: الدولة الرستمية دولة الإباضية بالمغرب الإسلامي 114
المبحث الخامس: الشيعة في بلاد المغرب الإسلامي 116
المطلب الأول: ظهور الشيعة في المغرب الإسلامي 116
المطلب الثاني: دعاة وعلماء الشيعة بالمغرب 117
المطلب الثالث: الدولة الفاطمية والمذهب الشيعي بالمغرب 120

فهرس الآيات 142
فهرس الأحاديث 143
فهرس الأعلام 144
فهرس الأماكن 148
فهرس الموضوعات 149

الملخص باللغة العربية

لطالما كان المغرب الإسلامي موضوع بحث تاريخي، وقد تعددت وتشعبت مواضيع البحث فيه على اختلاف زوايا الدراسة وقناعات المتعرضين له بالدراسة، وقد كان موضوع المذاهب العقائدية ببلاد المغرب من المواضيع التي كان البحث فيها شحيحاً متواضعاً، لتأتي دراستنا هذه لسد هاته الثغرة البحثية ومقدمة لما بعدها.

كان قدَر الأمة أن تشهد حالة من التمزق المذهبي، فرأينا خلال البحث وفي الفصل الأول تلك الاختلافات العقدية بين المذاهب، رغم دخولها كلها تحت مسمى الإسلامي، مدعٍ كل منها أنه صاحب الحق وما سواه على زيغ وضلال، وتتبعنا خلال ذات الفصل المراحل التاريخية لنشأة كل مذهب، بداية بأهل الحديث ثم المعتزلة، ثم الأشاعرة، فالإباضية والشيعة.

وبناء على البحث فإن بلاد المغرب الإسلامي كغيرها من بلاد الإسلام قد عرفت منذ بواكير إسلامها التعددية المذهبية، فظهر فيها أهل الحديث، والمعتزلة، والأشاعرة، والإباضية، والشيعة، وكان لذلك تبعات تفاوتت من حيث تأثيرها على المسار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي.

Summary in English

The Islamic Maghreb has always been a subject of historical research, and there have been many and branched research topics in it, depending on the different angles of study and the convictions of those exposed to it, and the subject of doctrinal doctrines in the Islamic Maghreb was one of the topics where research was scarce and modest, so this study comes to fill this research gap and an introduction to what follows.

It was the destiny of the nation to witness a state of sectarian rupture, so we saw during the research and in the first chapter those doctrinal differences between the sects, despite entering all of them under the name of Islam, claiming that each of them is the owner of the truth and others on zig and misguided, and we followed during the same chapter the historical stages of the emergence of each doctrine, starting with Ahl al-Hadith, then MU'tazila, then the Ash'arites, Ibadis and Shiites.

Based on the research, the Islamic Maghreb, like other countries of Islam, has been known since the early days of its Islam to be multi-confessional, so the Ahl al-Hadith, MU'tazila, Ash'arites, Ibadis, and Shiites appeared in it, and this had varying consequences in terms of its impact on the historical course of the Islamic Maghreb.